وزارة المعارف العمومية

ابنة الشمس

تراجيدية ذات أربعة فصول وثمانية مناظر

نالت جائزة وزارة المعارف العمومية

فى مباراة سنة ١٩٣٢

تأليف

فرنسيس شفتشى

حق الطبع محفوظ للوزارة

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٤

مقدمة

إلى محبّى الفنون الجميلة وعشاق الفنّ المسرحى والعاملين على نصرته فى هذه الديار العزيزة، أقدّم روايتى هذه ولى من عطفهم ما يشجعنى على الجهاد فى سبيل مسرحنا العربى العتيد .

فان وفقتنى الأقدار فى " ابنة الشمس " لأن أضع حجرا فى البناء المسرحى الذى يتضافر الكل على النهوض به فذلك ما أبغى، وإلا فلى من حسن نيتى ما يشفع لى فى ولوج هذا الباب فى الجهاد الأدبى .

بقى أن أشير هنا إلى أن كلمة " ابنة الشمس " مشتقة من كلمتى (بنت) العربية التى أدخلها الرعاة يوم غزوا مصر، ومن (أنات) وهى الشمس فى اللغة الهيروغليفية وقد صار مزجهما مزجا للعربية والمصرية وهما قوام الوطنية المصرية اليوم .

فرنسيس شفتشى

تقرير لجنة التحكيم

فى مباراة التأليف المسرحى

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

تتشرف لجنة التحكيم فى مباراة الروايات التمثيلية برفع نتيجة عملها ، بعد أن فرغت من مهمتها الى معاليكم . واللجنة قبل كل شىء تشكر لمعالى الوزير كريم ثقته بأعضائها فى اختيارهم لهذا العمل الجليل. ونحن حين تقبلنا هذا ، على علمنا بما فيه من وجوه المشاق ، انما فعلنا معاونة الوزارة بكل ما أوتينا من جهد على رفع شأن التمثيل ، واستدراج أقلام المؤلفين للتجويد فيه ، ولتحقيق هذه الثقة العزيزة من جهة أخرى .

بلغت عدة الروايات التى قدمت الى اللجنة ١٤٣ رواية . وقد اجتمع الرأى بادئ الأمر على استبعاد الروايات التى سبق تمثيلها ، متكئة فى هذا الرأى على اعتبارات متعددة ، أبلغها أن الغرض من هذه المباريات ، وإجازة الجيد السابق مما تخرجه قرائح الكتاب فى هذا الباب ، انما هو التشجيع على التأليف المسرحى ، حتى تتسق لهذا الفن فى هذه البلاد نهضة تواتى سائر النهضات المتواثبة فى كل نواحى الحياة المصرية بعناية حضرة صاحب الجلالة مولانا المليك المعظم ، وعلى هدى ارشاداته العالية . وهذه الغاية الكريمة انما تدفع دائما الى الشخوص الى الأمام لا النكوص الى الوراء ، فضلا عن أن الروايات التى سبق تمثيلها قد قضى الجمهور بالحكم لها أو عليها ، فلا

محل لاستئناف الحكم فيها من لجنة كائنا من كان أعضاؤها . هذا الى أن لهذا الرأى سابقة من اللجان التى ألفت لمثل هذا الغرض ، ولم يرتفع على ما نعلم اعتراض له وجه على هذا .

وقد استعنا على التحقق من هذا بمراجعة إدارة المطبوعات . وقد انعقدت أولى الجلسات بمدرسة دار العلوم ، فى يوم السبت ٢ يوليه سنة ١٩٣٢ وفيها اجتمع الرأى على أن يقتسم أعضاء اللجنة جميع الروايات المقدمة بعد استبعاد ما سبق تمثيله منها ، على أن يتجرد كل عضو فى قراءة القدر المقسوم له ، حتى اذا فرغ من طائفة منه دفع به الى أحد زملائه وهكذا .

واتفقنا على أن الرواية التى لا يرتفع الشك من أحد منا فى عدم تقديمها تستبعد ، أما الرواية التى يرى ولو فرد واحد طرحها للنظر ، فتعرض على اللجنة لتدرسها بهيئتها الكاملة ، وبهذا استوى للجنة ثمانى عشرة رواية ممتازة من غير شك عندها على كل ما عداها .

ولقد أقبلت اللجنة مجتمعة على قراءة هذه الروايات الثمانى عشرة ، حتى انتهت الى استصفاء خمس منها ، وتقديمها على سائر ما تقدم اليها وهى :

(١) رواية سميرة و رواية العواطف (مصريتان عصريتان) .

(٢) « الهادى (عربية عباسية) .

(٣) ابنة الشمس ورواية طرد الرعاة (مصريتان فرعونيتان) .

ورأينا أن قصر الجوائز على ثلاث روايات ، فى حين تكافأت أربع روايات فى مجموع المزايا ليس من العدل فى كثير ولا قليل ، كما أن تحديد الجوائز الذى فرضته الوزارة لا يتسق لتقدير الواقع ،

فان الفروق بين الروايات التى اصطفيناها أضيق كثيرا من المفروض فى تقسيم الوزارة . لهـذا رأينـا أن نقترح على الوزارة أن تمـد الجوائز الى خمس فى حدود الأربعماية جنيه المخرجة لهذه المباراة ، على أن يعطى منها مؤلف رواية "سميرة" مائة ، وأن يجازى كل واحد من حضرات المؤلفين الباقين بخمسة وسبعين جنيها .

ويحسن بنا أن نقرر الملاحظات الآتية :

١ — ليس معنى نجاح هـذه الروايات الخمس أنها استوفت جميع الشروط التى ينبغى توافرها فى الروايات المسرحية ، بل انه ما يزال بيننا وبين بلوغ هذا المدى شوط قريب أو بعيد ، كما أنه ليس معنى إهدار ما أهدر من الروايات خلوها من المزايا ، بل ان منها ما لا يقل فى الفن وفى مقدرة الكاتب عن هـذه المرتبة التى أجزنا عليها ، ولكنا لقد أهدرناها لاعتبارات دينية أو خلقية أو اجتماعية ، كالتعريض بالشرائع السماوية أو الدعوة الى الإباحية أو معالجة مسائل تتصل بأمراض خلقية قبيحة ، اذا ادعى أنها تقع فى مثـل بلادنا الشرقية المسلمة فهى فذة غير شـائعة اذ الكتلة المصرية سليمة منها بحمد الله تعالى .

٢ — من الروايات التى قبلناها وأجزناها ما لا يدور الأمر فيه على عقدة مهمة تتطلب الحل وتستدرج النفوس الى الاستشراف الحاد للغاية ، ولكنها جلت فى براعة فائقة شخصيات أغفلها المبسوط الشائع من أسفار التاريخ كرواية "الهادى" . ومنها ما علت اللغة فيه ، لأن الكاتب أطلق بيانه على فطرته هو كما صنع صاحب رواية "طرد الرعاة" . ومنها ما تجلجل فيه البيان مبالغة فى تصوير العصر القديم ومحاكاة لهجاته فى أساليب القول كرواية "ابنة الشمس" .

٣ — مما يدعو إلى الاغتباط بل الفخر أن فن التأليف المسرحى جعل يسير فى بلادنا بخطى سريعة ، فإن اللجنة الماضية (سنة ١٩٢٩) وكان فيها ثلاثة من أعضاء هذه اللجنة ، لم تستخرج من كل ما تقدم إليها إلا رواية واحدة أنالت صاحبها الجائزة الثانية اذ أجازت هذه اللجنة خمس روايات .

٤ — لوحظ أن كثيرا من حضرات المؤلفين يبدءون رواياتهم بقوة و براعة مدهشة ، ثم ما يزالون يتخاذلون و يتزايلون حتى ينتهوا الى غاية سخيفة فاترة ، كما لوحظ أن كثيرا من المؤلفين يحشون رواياتهم بمبالغات تنشز على العادة والعرف ، بل لقد يثبت بعضهم فى صدر الرواية شخصا أو حادثا ثم ينسيه فى آخر الرواية أو فى بعضها . ولقد يصور بعضهم حادثا لا يستريح الأدب أو الخلق أو الذوق الى عرضه . ولقد يعمد إلى الاستكثار من الشخصيات رئيسية يستحيل على مسرح مصرى على الأقل أن يسعد بها ، وأن يجسم المسرح بمناظر لا قبل لمسارحنا بها . وعلى الجملة فالأمثلة على هذا مما يستهلك العدد الكثير .

٥ — لقد أدخلت اللجنة تعديلات يسيرة على بعض الروايات التى قبلتها سواء من حيث بعض المواقف أو بعض التراكيب و يتعين على حضرات المؤلفين قبولها .

٦ — تقترح اللجنة على الوزارة ألا تخرج إحدى هذه الجوائز لمستحقيها إلا بعد تمثيل الرواية أو نشر ملخص عنها بثلاثة أشهر على الأقل .

وبعد فقد بذلنا فى هذه المهمة الكريمة أقصى ما فى طاقتنا هذه الرغبة السامية ، ولقد بدأنا عملنا فى ٢ يوليه سنة ١٩٣٢ وانتهينا منه فى يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ وعقدنا فى سبيله ثمانى عشرة جلسة فى أيام متفرقة ، فان نكن قد أصبنا فذلك من توفيق الله تعالى ، ويسرنا أن نذكر أن ما انتهينا اليه انما كان باجماع الآراء .

وقبل أن نختم هذا التقرير نرى من الواجب علينا أن نشيد بهمة حضرة محمود صادق افندى سكرتير اللجنة وأن ننوه بذكائه وأدبه وأمانته .

ونرجو من حضرة صاحب المعالى الوزير أن يتفضل بقبول ماتضمره له من صادق الاحترام .

تحريرا فى يوم الأحد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢

سكرتير اللجنة	رئيس اللجنة
محمود صادق	أحمد برادة

الأعضاء

على الجارم	عبد العزيز البشرى	محمد هلال

تحليـــــل

الفصل الأول

بينما كانت الأميرة بنت أنات ابنة الملك رعمسيس الثانى تسابق بعـ كر قائد الطليعة داست بمركبتها فتاة رائعة الحسن ، وكانت الفتاة حفيدة رجل من المحنطين المحكوم عليهم بالدنس بحكم طبقتهم الفقيرة . وكان الكهنة يحكمون بالدنس أيضا على كل من يتصل بهم ، لكن الأميرة التى كانت ذات عقل متزن ووجدان حى وقلب رقيق أشفقت على تلك الفتاة المسكينة أن تموت بسببها وأنبها ضميرها على ما أصابتها به من الأذى ، فحزنت حزنا شديدا لذلك الحادث ، ولم تمالك أن عمدت بنفسها على تضميد جراح الفتاة ومؤاساتها ، ونقلتها الى كوخ جدها المحنط ، وقد أرشدها قلبها الحنون الى أن هذه الفئة من الناس مظلومة فيما حكم عليها به من الدنس فأثار هذا الخاطر فى نفسها القلق ، وساورتها الشكوك فيما يسميه الكهنة حقائق الدين ، لكنها لم تكن مع ذلك لتجرأ دفعة واحدة على التصريح بما خالج نفسها من شكوك رهبة من الكهنة وسطوتهم التى كان يخضع لها الفراعنة أنفسهم ، فذهبت بادئ الأمر فى وجل واضطراب تلتمس طبيبا لمعالجة الجريحة وكاهنا يطهرها من الدنس الذى علق بها ، ويكلف رئيس الكهنة آمينى كاهنين من رجال الهيكل هما نبسشت الطبيب وبنطاؤر الشاعر الفيلسوف ، أولهما للقيام بمهمة العـلاج والثانى بالمهمة الدينية .

فاذا خرج اليها بنطاؤر وهو شاب وسيم الطلعة طويل القامة ذو هيبة ووقار ونزعة خيالية بعيدة ، لم تتمالك أمام تأثير سحره أن تخر ساجدة بين يديه تلتمس منه الغفران عن خطيئتها ، فيذكرها فى صوت مهيب بأن خطيئتها لن تغفر الا اذا كانت صادقة التوبة . وأنها اذ كانت ترجو بعد الغفران أن تعاود زيارة الجريحة المدنسة كان اثمها أعظم وعقابها أشد . وهنا تتنازع الأميرة عوامل الرحمة والحنان وتذكر الفتاة الجريحة وهى على فراش الموت تتألم وتبكى ، وتتولاها من جديد نزعة الشك فى صورة مجسمة فيحدو بها ذلك إلى أن تدع الجزع جانبا وتناقش الكاهن فى فلسفة رائعة ومنطق مستقيم ووجدان حى فى نظرية الدنس ، وما تزال به تبين خطأه فيرتاع بنطاؤر أمام آرائها الجريئة ويحاول أن يخفض من صوتها ، الا أن شعورها بانتصارها يزيدها قوة فى دفاعها المدعم بالحجة ، فيحتدم الجدل ويتحرج الموقف ، اذ تتهم الأميرة فيه جميع الكهنة بالنفاق وبأنهم يعملون على التغرير بالناس وتعليمهم ما لا يعتقدون . ولم يكن بنطاؤر الفيلسوف فى دخيلة نفسه الا مؤمنا مقدما بكل ما تقوله الأميرة وان ظهر للناس بغير ما يؤمن به ، حفظا لمركزه فى الكهنوت . ولهذا فقد كان على الرغم من هزيمته فى الظاهر أمام الأميرة معجبا بها و بتفكيرها ومشاعرها ، وقد بلغ من تأثير ذلك فى نفسه أنه لم يلبث أن جهر لها بصواب عقيدتها وسداد قولها ، وأن آراءها انما هى صدى ما يتردد بين جوانحه منذ زمن بعيد من الآراء . وعلى أثر ذلك يأذن للأميرة بزيارة الجريحة على أن تعمل لها المراسيم عند عودتها فى الغد خارقا بذلك حرمة التقاليد المقدسة . وتخرج الأميرة فى موكبها الحافل وهو يشيعها بنظرات الاعجاب والتأثر ، ولا يكاد يخلو إلى نفسه حتى يشعر

بفداحة الخطأ الذى زلت فيه قدمه ككاهن عليه أن يصون الشعائر والطقوس ويحافظ عليها ، ويحاسب نفسه محاولا أن يتبين سر النفوذ السحرى العجيب الذى أثر فى نفسه فانكشف عن اعتراف كان هو أشد الناس حرصا على كتمه ، ويفاجئه وهو فى هذه الحالة صديقه الحميم الطبيب نبشت فيسأله وقد لمح فى وجهه آيات الحزن والوجوم أى مصاب دهاه ؟ وكان يعرف سبب حضور الأميرة ويدرك خطأ بنطاؤر فيما أقدم عليه بدافع من نفسيته الحساسة من مخالفة ، مازال يستدرجه حتى اعترف له بها ، وصرح له بأكثر من ذلك ، إذ قال إن مبعث حزنه أنه افتتن بالأميرة بنت أنات وهام بحبها منذ كان يراها فى الحفلات الدينيه ، فيعجب بجمالها الرائع ، وأنه كان فى ذلك الوقت يخادع نفسه ويقاوم عاطفته لا سيما اذا تمثل أنه ابن بستانى حقير ، وأنها ابنة الجالس على عرش مصر ، ولكنه وقد جاءت إليه وحادثته وحادثها لم يتمالك أن ناجى نفسه بحبها ، ويرثى نبشت لحال صديقه ويشجعه ، ولكنه يحذره من آمينى رئيس الكهنة ويلوح له بسطوة عقابه إن هو وقف على حقيقة الأمر ، غير أن بنطاؤر والصدق خلته ، يعتزم الجهر أمام آمينى بحقيقة عقيدته الدينية وإن كلفه ذلك ما يكلف .

وكانت الأميرة قد جاءت الى الهيكل فى حفل من حاشيتها ومن بينهم الفظ الغليظ الطبع بعاكر وابنة خالته نيفرت ، وكان متدلها فى حبها على غير جدوى ، وزوجها مينا حارس ركاب الملك ، وتدور الأحاديث بينهم جميعا بما يفيد أن الحرب قائمة بين مصر وقبائل الشمال ، وأن رعمسيس قد أرسل فى طلب خمسين ألف مقاتل من الزراع والصناع الذين هم عماد الهيا كل ومورد رزقها ، حتى إن النزاع

كان قائما بينه وبين الكهنة لهذا السبب كما نتبين حقد بعاكر على رعمسيس وتواطئه مع الكهنة ، لأن رعمسيس أمر بترويع نيفرت من مينا على الرغم من علمه بحب بعاكر لها ، وأنه لذلك يضمر الشر لهم جميعا . وأهم تلك الأحاديث موقف لنيفرت تعرب فيه عن كراهيتها لبعاكر لسوء طبعه وشراسة خلقه وحقده على مينا ، ويرى بعاكر فى نهاية المنظر الأول وقد خرج مع آمينى فى غير كلفة يتهامسان بما استقر عليه رأيهما فى الآخر من تدبير مؤامرة لرعمسيس وإشراك الوالى فيها معهما .

وننتقل هنا الى كوخ الجريحة فاذا هى فى فراشها والى جانبها الأميرة بنت أثات تؤاسيها وتتوجع لها ، ولكن نبسشت الطبيب الذى قضى الليل فى العناية بجانها يشفق على الأميرة ويطلب منها الكف عن البكاء معللا اياها بالأمل فى شفائها ، فتطير الأميرة فرحا وتشمل الجريحة برفقها وحنانها حتى تفيق من غشيتها فتدهش عندما يقع نظرها على الأميرة ويعروها خجل واستخذاء ، فتواسيها الأميرة بعبارات العطف ، وكان إلى جانب وردة جدها المحنط بينم وجدتها العجوز التى يفهم أنها فقدت ستة من أولادها فى الحرب وأن السابع وهو بربوس والد وردة ما برح معرضا للخطر ، ولم يكن بينم يعلم فى بادئ الأمر أن تلك التى تواسى حفيدته هى الأميرة بنت أثات ، أو أنها هى التى داست بمركبتها حفيدته . فما أن علم أنها هى حتى ثار ثائره واشتد حنقه ، اعتقادا منه بأن ما وقع منها كان لاحتقارها اياها واستخفافها بأمرها ، فيرشقها باللفظ الجارح ويهم بطردها من كوخه . عندئذ يلفته نبسشت إلى خطئه مبينا له حسن نيتها وأن ما وقع كان عن غير قصد منها ، فيخجل

ويحس كما لو أنه أجرم فى حق الأميرة فيبكى ويتعلق بأذيالها فى خشوع وانكسار ملتمسا الصفح منها ، فتعفوعنه مبتهلة إلى الآلهة أن تفيض على نفسه الطمأنينة .

الفصل الثانى

يتبين فى هذا الفصل أنه على إثر ما دار بين بنطاؤر والأميرة من الحديث فى أصول الدين ، وما كان من مصارحة بنطاؤر لرئيس الكهنة بآرائه التى هاله ما فيها من شذوذ ومروق ، أمر آمينى بنقله من بيت سيتى حيث كان يلقى على الطلبة دروس الشعر والفلسفة الى هيكل آمون ، ورمى آمينى بأمره هـذا الى الانتقام منه ، والخفض من شأنه . ولكن يؤخذ من الحوار بين بنطاؤر ونبسشت أن آمينى كان يقصد بهـذا النقل ألا يطلع بنطاؤر على ما يدبّر فى بيت سيتى من الدسائس والمؤامرات ضد العرش ، ولاسيما بعد ما ظهر من كلف بنطاؤر بابنة رعمسيس وولائه المتين له لهـذا السبب ، ومن ثم كان تمنع آمينى عن أداء المراسيم لتطهير الأميرة من الدنس الذى لحقها ، وتأجيله إياها الى ما بعد الاحتفال بعيد الوادى يلتمس بهذا التأجيل الوسيلة الى حرمانها من شهود هذا الاحتفال ، وإخفاء ماسيتخذه فيه من التدابير لقلب العرش ، وتنصيب الوالى آنى مكان أبيها رعمسيس . ويؤخذ من الحديث نفسه أن بنطاؤر على الرغم من إبعاده كان مطلعا على ما جريات الأمور كلها ، وإن يكن صديقه نبسشت قليل الاهتمام بشؤون السياسة ، شديد الانصراف الى بحوثه الطبية ، وأن الأميرة بنت أنات كانت كثيرة التردد على

بنطاؤر فى هيكل آمون ، وأنه نشأ بينها و بينه ائتلاف فى النزهات والمشارب أدى بهما الى تبادل الحب . وإنما حدث فى أثناء ذلك أن ضج طلبة بيت سيتى لإبعاد أستاذهم فنظموا تحت إمرة راميرى شقيق الأميرة وتلميذ بنطاؤر مظاهرات كبيرة لم تلبث أن شملت البلاد احتجاجا على آمينى وتصرفاته ، وكانوا ينادون فيها بمبادئ بنطاؤر الجديدة ، وأخصها العطف على فئة المدنسين . وكان من جراء تلك المظاهرات أن تعرف الأمير راميرى بوردة اذ زارها فى كوخها وهام بها وهامت به . ونعرف أن الطبيب نبسشت كان قد أحبها فى سره خلال زياراته العديدة لها ، لكنه كان يشعر بأن الأمير راميرى أحق منه بها لشبابه وجماله وجاهه ، وقد أنس فى نفسه استعدادا لتضحية تلك العاطفة على أن يستعيض منها قلب انسان يطابه من المحنط بيام ، وهو يشق احدى الجثث ليجرى عليها بعض الأبحاث العلمية . وكان التشريح فى ذلك العهد محرما ومعاقبا عليه بالإعدام ، فهال بنطاؤر هذا الأمر وسأله العدول عنه ضنا بوردة أن يصيبها مكروه ، اذا قبض على جدها . غير أن نبسشت يصر على رأيه بدعوى أنه يخدم العلم والانسانية ، وأنه فى سبيل هذه الغاية يضحى بكل شىء ، فاذا لم يوفق لمراده مع المحنط خلع لباس الكهنوت وانضم فى سلك المحنطين المدنسين . وهنا يجىء كاهن فينبىء بنطاؤر بقدوم نيفرت لتقدم القربان الى الآلهة كى ترعى زوجها الذى سافر الى الحرب ، والحقيقة أنها جاءت لتوافى بنطاؤر باخبار بنت أنات ، وتحمل منه الأخبار اليها وما يستطلعه كل منهما من أسباب الفتن والدسائس . الا أن نيفرت فى هذا اليوم أخبرت بنطاؤر بأن بنت أنات معتزمة الحضور بنفسها رغما عن أوامر آمينى التى تقضى بعدم قبولها فى المعابد ، لأن لديها أسرارا هامة تريد

أن تفضى بها اليه . ويخرج بنطاؤر لمقابلة نيفرت ولا يكاد يتوارى حتى يرى آمينى وبعاكر فى حديث جدى خطيرة تتبين منه سير الدسائس حثيثا فى البلاد ونجاحها واستغلال الكهنة فرصة استياء الشعب من اطالة الحرب لبث روح التمرد والثورة ضد رعمسيس وتوشيح آنى لذلك . ويبدو لنا خلال مقطوعة عنيفة مقدار سخط بعاكر على رعمسيس رمينا عدوه بالمودين وإصراره على الانتقام منهما ، ثم تتبين بوجه خاص كيف أن آمينى رئيس الكهنة كان روح الثورة ومحركها الأكبر ، وكيف أنه يلعب الدور الرئيسى فى الدسائس ، وهو فى الوقت نفسه يتنحى بمكر ودهاء من كل مسئولية . وبينما هما كذلك إذا الكاهن الأول قد عاد يعلن قدوم الوالى آنى الذى جاء بدعوة من آمينى على ما تبين لنا فى ختام الفصل الأول للاشتراك فى المؤامرة ويخف آمينى لاستقباله . فاذا ألفى بعاكر نفسه وحيدا أخرج من جيبه أدوات سحرية وماء مسحورا ، وتتبين أن هذا الماء أعدته له إحدى الساحرات خصيصا لاستهواء نيفرت . لكن تفاجئه فجأة وهو فى تلك الحال نيفرت لكن بوغت وهو يأتى أمرا محرما ، ويكون بينها وبينه موقف حام ، فتارة نجد فيه بعاكر مستعطفا لينا باكيا ، وتارة عنيفا متوعدا يسل جارح اللفظ ، فهو رجل عذبه الحب فأبكاه ، ودفع به اليأس الى الجنون والقسوة . لكن نيفرت على أى حال لا تلين له الا بقدر ما تسمح لها به آداب امرأة متزوجة عفيفة تحرص على سمعة زوجها وشرف بيته ، وتطلب اليه أخيرا فى لهجة قاطعة أن يكف عن بثها لواعجه لأنها تضايقت منه ، ولأنها لن تخون قط عهد الوفاء لزوجها . وهنا يشتد به الغضب فيهددها ويعمد الى إثارة الشك فى نفسها من ناحية زوجها ، حتى يستميلها اليه فيحدثها عن خطاب ورد الى أمها من أخيها ، وفيه شرح لما تنوى فيه من الدعارة

والرذائل . لكن هذه السعابة أيضا لا تغنيه شيئا فهى لن تفرط فى عفافها ولو خان زوجها العهد . وأخيرا يبغ به الاحتدام أقصاه فتصرخ نيفرت مستغيثة ، ويخاف أن يسمعها أحد فيقبض على عنقها ويضغط عليه بقوة شديدة فى غير وعى ، فلا تلبث أن تترنح بين يديه وتقع على الأرض ككتلة صماء . عند ذلك يأخذه الرعب اذ يحسبها ماتت ، لكنه لا يلبث بعد أن يفحصها أن يعاوده الاطمئنان ، اذ يتضح له أنها مغشى عليها ، ويضىء وجهه بغتة كمن طرأ عليه طارئ غريب لذيذ ، فيذكر الماء السحرى ويرى الفرصة مؤاتية ليسقيها منه ، ويعطيها فتشرب حتى اذا أفاقت من غيبوبتها جاء يلتمس منها الصفح فى ذلة وندم وانكسار ، لكنها تتركه وتخرج فى طلب استنشاق الهواء وقد خنقتها العبرات ، ويبقى بعاكر وحده برهة فى أشد حالات الاضطراب من جراء ما حدث . لكن ما هى غير هنيهة حتى يحضر المتآمرون جميعا ، فاذا ما استقر بهم المقام اتخذوا من بعاكر آلة لتنفيذ الخيانة والإيقاع بجيش رعمسيس . وما أن ينتهى هذا الاجتماع حتى يدخل بنطاؤر وبنت أنات ، وتبدو هذه خائفة مضطربة بينما بنطاؤر يبتدر مخاوفها بكلام عذب رقيق ، حتى اذا اطمأنت سرعان ما انقلب الموقف بينهما بدافع اشتياق احدهما الى الآخر إلى موقف غرامى فيه الكثير من الشعر وفيه الكثير من الخيال ، وينسى كل من العاشقين نفسه حتى اذا سمعت بنت أنات بغتة وقع اقدام تنبهت الى نفسها وذكرت الغرض الذى جاءت من أجله ، فيكون حديث جدى نفهم منه أن بنت أنات قد وقفت بفضل بنطاؤر على ما حدث أثناء اجتماع الكهنة من المؤامرات ، ونفهم أنها أتت الى بنطاؤر بأخبار خطيرة أخصها أن الوالى آنى وبعاكر يترددان على ساحرة مدكرة تقطن بالقرب من وردة حتى

تعمل لها على هلاك رعمسيس من جهة ، واستمالة نيفرت الى بعاكر من جهة أخرى ، وأن لدى هذه الساحرة أسرارا بعضها خاص ببنطاؤر وبعضها خاص ببعاكر ، على أن الوقت لم يحن عندها لكى تبوح بهذه الأسرار . ونعلم أن وقوف بنت أنات على سر تردد ذينك الرجلين على الساحرة كفيل بأن يوردهما موارد التهلكة ، لأن سحر تلك المرأة من النوع الأسود الذى تعاقب عليه القوانين بالإعدام ، وبيدا هما فى هذا الحديث اذ آمينى واقف بالباب وقد سمع بنت أنات فيكون بينها وبينه موقف عنيف للغاية يؤنبها فيه آمينى على انتهاك حرمة المعابد ، وتجيبه بنت أنات بأنها تعلم السر الذى يحدو به الى القسوة فى معاملتها والتشدد فى ارجاء تطهيرها الى ما بعد الاحتفال بالعيد ، وتتوعده بما استطاعت من ألفاظ على قسوتها تحمل طابع جلالها الملوكى حتى يضيق آمينى بها ذرعا ويهم بطردها من الهيكل مشيعة بالخزى واللعنة . الا أن بنطاؤر يتداخل عند ذلك بينهما مدافعا عنها فيتهمه آمينى بالتحيز لها لما بينهما من العشق كما يتهمه بالمروق عن الدين ، ويكيل له الكثير من ألفاظ التأنيب وينتهى به الأمر أن يطرده هو أيضا متوعدا إياه بأقصى العقوبة .

على أثر ذلك ننتقل من جديد إلى خارج وجار المحنط بينم حيث يرى نبمشت يحادث بربروس والد وردة عن صحتها ويعطف الأميرة بنت أنات عليها ، ويتدرج الحديث الى ذكر قصة مولد وردة التى يتضح لنا منها أنها ليست مصرية الأصل ، وأن أمها كانت إحدى سبايا الحرب وكانت خرساء اشتراها بربروس شفقة بها من عذاب الأسر ثم تزوجها . ونفهم من سير الحديث أنه عندما اشتراها وجد فى ثيابها خاتما ذهبيا مرصعا بأحجار كريمة وعليه نقوش

غريبة يظن منها أن تلك المرأة كانت من أصل عريق ملكى . وأن الخاتم موجود الآن تحت تصرف وردة ، إذ أنها بلغت سن الرشد . ولا يكاد ينتهى هذا الحديث حتى يودع بربروس نبسشت ويذهب إلى عمله ، ويخلو بينم الذى جاء فى نهاية الحديث بنبسشت ، ويدور بينهما حوار مؤداه أن نبسشت طلب من المحنط أن يوافيه بالقلب الذى يريده ، وأن هذا يتردد فى إجابة الطلب خوفا من عقاب الآخرة فيؤمنه هذا باعطائه كتابة يلقى فيها مسئولية هذا العمل على نفسه ، وتكفل له النجاة من عقاب قضاة الموت ، ويخرجان معا على أن يذهبا إلى دار التحنيط . وما أن يتواريا حتى يرى الأمير راميرى قادما يحمل لوردة باقة من الأزهار وقد خرجت وردة لاستقباله فى مرج الصبحة والشباب ، فيكون بينهما موقف غرامى فيه الكثير من سذاجة القلب البرىء . لكن وردة التى كانت مستسلمة لحبيبها لاتلبث أن تأخذها فجأة حدة البكاء ، فاذا ساءلها راميرى عن سبب ذلك أجابت بأنها تبكى من شدة الفرح ، لكن الحقيقة أن وردة شعرت بعظم الفارق بين مركزها ومركز من تهواه ، وتخشى أن تطير أحلامها يوما ما فلا توفق إلى الزواج منه ، لكن راميرى الذى يحبها بقلب طاهر بالاخلاص يهدئ من روعها ويطمئنها قائلا لها إن الفقر ليس عارا وأن لديها من رائع جمالها ما هو أثمن عنده من المال ، ثم يطلب إليها أن تسلمه الخاتم إذ كانت قد حدثته عنه من قبل ، لأنه متأكد أنها من أصل شريف ويريد أن يعهد بترجمة النقوش إلى مترجم الملك . وهنا فى هذا الحديث الذى يسمع صراخ رهيب آت من جهة مغارة الساحرة ، فاذا بها كريهة يهوى عليها بسوطه انتقاما منها لفساد عشرها ، وها هى تارة تستخر منه وتارة تتوعده وتارة تعلله

بالأمانى . وهو بين هذا وذاك لايهدأ له بال ولا يستقر له حال . حتى اذا ضاق بها لأمر أمعنت فى الإساءة اليه فتصرح له بسر خطير يتعلق بمولده ومولد بنطاؤر ، ذلك أن بعاكر هو ابن البستانى الحقير وأن بنطاؤر هو ابن آسا الموهار الشريف الذى يظنه بعاكر خطأ والدا له ، فتكون المفاجأة عنيفة يكاد يطير لها صوابه ، وقد وقف على هذا السر بطبيعة الحال الأمير راميرى وورردة وسوف يبلغان أمره الى بنت أنات . عند ذلك تهدئ الساحرة من روعه قائلة بأنها لن تفشى ذلك السر لأى انسان ثم تعد له ماء جديدا ليشربه فيجتذب اليه معشوقته فيأخذ منها الماء بنهم و يشربه أمامها عبا بينما هى ترتل التعاويذ السحرية .

الفصل الثالث

يحتفل القوم بعيد الوادى وقد صدر أمر آمينى بمنع الأسرة المالكة المدنسة من حضور الاحتفال . ونحن فى قصر رعمسيس إزاء موقف مؤثر بين بنت أنات ونيفرت فهذه تبكى وتتحب لانقطاع رسائل زوجها عنها . ولأنها قد أخذها الشك الذى ألقى بعاكر بذرته فى نفسها ، وتلك تبدد عنها هذه الوساوس بما أوتيت من عطف واشفاق عليها ، ثم يتشعب بينهما الحديث فنفهم منه أن الأمير راميرى رغما عن أوامر آمينى قد ذهب إلى الاحتفال متنكرا فى زى بستانى حتى يستطلع الأخبار . و بينما هما فى أحاديث شتى اذا راميرى يعود فى حالة اضطراب وهلع شديدين ، فتسأله بنت أنات عن الخبر فيجيبها بأن الثورة متأججة ، وأنها قد عمت كل البلاد ، وانها

تلتهمها التهاما ، وأن الشعب ينادى بسقوط رعمسيس وحياة آنى ، وذلك كله على إثر خطاب حماسى ألقاه آمينى على الشعب المحتفل حمل فيه على رعمسيس حملة شعواء منكرة ، وتسأله بنت أنات عن بنطاؤر فيجيبها بأنه كان قد صدر العفو عنه اذ احتاجوا اليه لإلقاء خطاب العيد ، لأن الكاهن جاجابو الذى عهدت اليه هذه المهمة لم يحز خطابه القبول ، لكن بنطاؤر لم يتمكن لشدة الهرج من أن يقول كلمة واحدة . فاطمأنت عند ذلك بنت أنات نوعا ما لأنها تثق فى بنطاؤر وتعلم أن كلمة منه للشعب الهائج سوف تحول دفة الثورة على رأس الأعداء ، وفيما هى بين حيرة تساورها وقرار تريد أن تتخذه بصدد هذه الحالة يعلن حاجب قدوم وردة فى حال يرثى لها من الألم والحزن ، ويقول إنها جاءت باكية منتحبة ، فيخف اليها مسرعا الأمير راميرى الذى حزن لبكائها حزنا شديدا . وتسألها بنت أنات عن خطبها فى رفق لا مزيد عليه ، فتعلم من حديثها المتقطع من الخوف والاضطراب أن الثورة امتدت الى بيوت المدنسين فأحرقها الثوار ، وأن جدها بينم المسكين قتل فى هذه الثورة ، وأنه جن قبل قتله . ذلك أن المحنط وفى بوعده الى نبسشت الطبيب بأن ألقى اليه بقلب رئيس هيكل آمون ويدعى الشيخ رونى ، الذى كان مريضا ومات وعهد اليه تحنيط جثته ، ولكى يخفى جريمته ويموه على مفتشى المقابر وضع بداخل الجثة ، عملا بنصيحة نبسشت ، قلب كبش مقدس بدل قلب الانسان . فاستغل الكهان هذا الحادث الغريب ليوهموا الشعب بأن الشيخ رونى من الأنبياء الصالحين ، ولذلك انتقل الى صدره قلب الكبش المقدس ، وأجبر الكهان الشعب على السجود لذلك القلب والتبرك منه اذ طافوا به محمولا فى إناء من البلور بين جميع مظاهر التبجيل والاكرام . فلما رأى

المحنط ثمار جريمته أثقل على ضميره وأخذ منه الخوف كل مأخذ ، فما أن مر به موكب القلب حتى هم اليه مندفعا يريد انتشاله من بين أيديهم ، لكن الجنود والشعب هاجموه وضربوه ضربا مبرحا أفضى الى موته ، وقال الكهان بأن ظهور هـذه المعجزة فى ذلك اليوم بينما هم يرشحون للملك الوالى آنى قال حسن بعهد سعيد سيأتى فى مصر على يد هذا الملك . وأخذت مردة تسرد أهوال الثورة وما شاهدته من فظائعها ، وما لا يزال عالقا بمخيلتها من خيالاتها وأشباحها ، وهى فى كل ذلك قد أصابها اضطراب عصبى شديد رأت معه بنت أنات أن تلزم وردة الفراش لتستريح ريثما يوافيها نبسشت الطبيب ، وتذهب بها فعلا الى فراش تعده لها وتتبعها نيفرت التى كانت هى أيضا متعبة من جراء حزنها ، ويخلو المسرح برهة قصيرة ثم يرى بعاكر وقد جاء صحبة نيمو ، وهو قزم خبيث وابن الساحرة نيخت ، وقد أوصت هذه بعاكر بأن يجعله فى خدمة راتوتى والدة نيفرت حتى يوافيه دائما بأخبارها وليكون على زعمها واسطة لحسن التفاهم بينه وبين ابنة خالته نيفرت . لكن نيخت الماكرة كانت ترمى الى ايهام بعاكر بنجاح سحرها اذ أوعزت الى ولدها القزم أن يوافيه دائما بأخبار سارة ولو كانت مكذوبة ، ويفسر نيمو حلما لبعاكر فيقول له إن تحقيق الحلم يقتضى أن يحذف مينا من الوجود فيروق بعاكر هذا الحل ويصر عليه . ويخرج نيمو فى طلب راتوتى والدة نيفرت ، وبينما بعاكر فى أفكاره وهواجسه تفاجئه بنت أنات وتسأله عن سبب مجيئه فى تلك الساعة ، فيجيبها بأنه قد جاء يودعها ويودع نيفرت قبل رحيله الى الحرب ، فتأبى عليه بنت أنات مقابلة نيفرت وتؤنبه على سوء معاملته لها تأنيبا قاسيا يوغر صدره عليها . ونفهم خلال الحوار أن بنت أنات كانت ترسل أخبار ما يجرى

فى البلاد الى والدها رعمسيس فى ميدان القتال ، فيجيبها بما كر عن ذلك ساخرا بأن التدابير اتخذت لمنع بريد مصر من الوصول الى الشام . واشتد عند ذلك الجدال فما كان من الأميرة الا أن طردته من حضرتها فيخرج من عندها مرذولا مهينا موغر الصدر . وبينما بنت أنات وحدها فى احتدام شديد من أثر ذلك الموقف اذا هتاف باسم رعمسيس يصم الآذان ، وكان الهتاف مفاجئا بعد ما علمته بنت أنات من الأخبار السيئة ، لكنها أدركت للحال أن بنطاؤر قد حول ببلاغته تيار الثورة ، فتفرح عند ذلك فرحا عظيما وتأخذها نشوة الانتصار . ويوافيها عند ذاك رسول من قبل بنطاؤر يقص عليها كيف استطاع بنطاؤر أن يجتذب الشعب اليه ، ويلق على مسامعها فى لهجة حماسية عظيمة بعض ما جاء فى خطابه من العبارات المؤثرة . الا أن الرسول يقول لها بأن هذا النصر لم يكن بغير ثمن ، فان بنطاؤر قد قبض عليه على إثر هذا الخطاب وحكم عليه الكهنة باتفاق الوالى بالنفى الى محاجر راحنو فيقع من نفسها هذا الخبر وقوع الصاعقة ، فتصرخ صرخة مكتومة من الألم ويعروها دوار شديد لا تلبث بعده أن تسقط مغشيا عليها بين يدى شقيقها راميرى الذى يصرخ عند ذلك أختى ! أختى !

وننتقل بعد ذلك الى منفى محاجر راحنو حيث قضى بنطاؤر فى عزلته وعذابه أربعة أشهر ، وقد احتالت بنت أنات للوصول اليه بأن أعلنت رغبتها ، وقد انتهى الاحتفال بالعيد ، فى تنفيذ عقاب الكهنة بالحج الى هيكل هاتور الزمردية للتطهر من الدنس ، وقد اختارت هذا العقاب بدلا من الاكتفاء بطلب الغفران أمام مجمع حافل من الكهنة لقرب هيكل هاتور من المنفى . وكانت قد سعت لدى رئيس التشريفات بأن يكون بربروس والد وردة حارسا

لبنطاؤر فى منفاه . ثم وافته بمساعدة هذا الأخير فى المنفى حيث دار بينهما حديث شوق وغرام وأسى ، ونعلم خلاله ما قاساه كل منهما فى سبيل حبه ووطنه . ثم يتشعب بهما الحديث فنعلم أن الأميرة لم تأت الى المنفى وحدها بل فى معية نيفرت ووردة ورامیری ، ونعلم أيضا أن جدة وردة قد ماتت على إثر وفاة زوجها ، وأن بنت أنات قد أخذت وردة معها الى هيكل هاتور حيث تطهرت هى أيضا ، ونفهم أن نيسشت طلق ثوب الكهنوت وانضم الى زمرة المحنطين لمواصلة بحوثه الطبية ، ثم تعد له عدة الهرب وتخرج على أمل اللقاء والرحيل الى الشام لمقابلة رعمسيس وإخباره بسير الأمور .

الفصل الرابع

عاد رعمسيس منتصرا من الحرب بفضل معونة بنطاؤر وما وافته به الأميرة من أخبار المؤامرات واعتزام معاكر خيانة الجيش مما اتخذ له رعمسيس فورا التدابير الحازمة ، وقد أقيمت الاحتفالات الباهرة والصلوات لشكر الآلهة على هذا الانتصار . ولم يجد رئيس الكهنة والوالى آنى بدا من الخضوع والاستغفار عن الذنب ، الا أن معاكر الذى لم تفارقه ذكرى نيفرت ظل متمردا على مولاه يريد الانتقام منه ومن مينا بسبب إخفاقه فى الحب ، لأن الحياة لم تعد تطيب له بغير نيفرت ، فإما أن يفوز بها و إما أن يموت ، وقد أصر فى نفسه فى النهاية على الانتقام من الأسرة المالكة جميعا وعهد الى نيمو باحراق القصر .

فى أثناء ذلك كان الملك رعمسيس يفاوض ملك الدنائم الذى عاد به أسيرا من الحرب فى شروط الصلح . وحدث اثناء مفاوضتهما

أن تقدم راميرى الى مترجم الملك الذى كان واسطة التفاهم بين الملكين ، فعهد اليه بترجمة النقوش التى كانت محفورة على خاتم وردة ، فيظهر أن وردة هى حفيدة الملك الأسير ، فيعم الفرح الجميع ويتصافح الملكان ويقر الرأى على تزويج وردة من راميرى لما بينهما من الحب ، ويثنى رعمسيس على بنطاؤر وخدماته لكنه يتبين على وجهه أمارات الحزن والأسى ، وتدرك بنت أنات أن سبب حزن بنطاؤر هو شعوره بأنه ابن البستانى الحقير وخشيته لهذا السبب الا يحقق رعمسيس أحلامه بزواجه من بنت أنات . فتطلب الأميرة عند ذلك من أبيها أن يستحضر الساحرة نيخت التى تشرح سر مولد بنطاؤر مبينة أنه من أصل شريف على ما أوردناه فى ختام الفصل الثانى نظير وعد من الملك بتحنيط جثتها ، ولا يسع الملك الا أن يهنئ بنطاؤر ويعده بأن يعطيه يد ابنته .

ويتبين خلال هذه المشاهد أن بنت أنات استمالت اليها نيمو فكان يوافيها دائما بأخبار بعاكر ونواياه ، وقد علمت منه نيته نحو احراق القصر بمن فيه من أفراد الأسرة المالكة . فانتهزت الأميرة فرصة اعراب ملك الدنائم عن رغبته فى عبور النيل ، وأمرت باعداد أشرعة تقل الأسرة جميعا ، وما أن عاد بعاكر واطمأن نيمو الى نجاتهم حتى أوهمه بأن كل شىء على ما يرام ، ويوعز اليه فى نفس الوقت أن يختطف نيفرت قبل اشتعال القصر ، فتروق بعاكر هذه الفكرة ، وما أن يصعد القصر لاختطافها حتى يشعله نيمو ، وما هى غير لحظات قلائل حتى يملأ الدخان الجو وينهار القصر فى دوى شديد يتخلله صراخ بعاكر واستغاثته بغير جدوى .

أشخاص الرواية

رعمسيس الثانى ... ... فرعون مصر
آنى ... ... والى مصر
الأمير راميرى ... ... ابن رعمسيس
آمينى ... ... رئيس الكهنة
بنطاؤر ... ... كاهن شاعر
نبسشت ... ... كاهن طبيب
بعاكر ... ... قائد طليعة الملك
مينا ... ... حارس ركاب الملك
بنيم ... ... محنط
بربروس ... ... جندى ووالد وردة
نيمو ... ... قزم ابن الساحرة
ملك الدنائم ... ... الملك الأسير
مترجم الملك
القائد العام لجيش الحبشة
بنت أنات ... ... ابنة الملك رعمسيس
نيفرت ... ... زوجة مينا
وردة ... ... حفيدة المحنط وابنة بربروس
نيخت ... ... ساحرة
امرأة عجوز ... ... جدة وردة
براكسيلا ... ... ابنة ملك الدنائم
كهنة ، قواد ، جيش ، خدم ، حاشية ، عبيد .

الفصل الأول

المنظر الأول

[يمثل المسرح هيكل سيتى الأول وقد ظهر بابه وأعمدته ، الوقت ليل ، والقمر يضيء قمته ، وقد وقف أمام باب الهيكل موكب الأميرة بنت أنات وبعض أتباع بعاكر يحملون قرابين وهدايا] .

المشهد الأول

[بنت أنات ، نيفرت ، بعاكر ، مينا ، حاجب ، بواب الهيكل ، عبيد وخدم يحملون مشاعل مضاءة] .

[عند رفع الستار ترى الأميرة بنت أنات ونيفرت فى محفتين محمولتين على الأعناق تنزلان من المحفتين ، ويرى بعاكر قائد طليعة الملك ، وهو قصير بدين غليظ الطبع ، يطرق بمقبض سوط فى يده باب الهيكل . يزداد الطرق شدة فى كل مرة عن المرة السابقة] .

بواب الهيكل — (مطلا من كوة فوق الباب) — صبرا ، أيها السادة ... سأفتح لكم حالا ! ... لكن ، هل لى أن أعرف من أنتم ؟ ولأى داع قد أتيتم فى هذه الساعة المعدة للعبادة ؟ ...

بعـاكر — (بصوت جهورى) — حتام نقتظر بالباب أيها الكلب الكسـول ؟ ... انزل أولا ، وافتح الباب ، ثم تكلم ... اذا لم يكن ضـوء المشاعل كافيا لتستوضح من نحن ، فسيكتب لسان هـذا السوط أسماءنا على ظهرك ، فتعلم كيف تستقبل الأمراء ...

بنت أنات — (بصوت خافت فيه نغمة العتاب) — بعـاكر ! ... أنسيت أنك تخاطب كاهنا ، يجب له الاحترام ... وأننا لم نأت الى هنـا الا فى طلب معونة الكهنة ؟ ... لقد تواترت شـكايات الناس من خشونة طبعك ، وسـوء معاملتك ، وكان لزاما اذا كانت الاساءة ديدنك ، أن تعدل هنيهة عنها حتى نقضى الحاجة التى من أجلها طرقنا هذا الباب ...

بعـاكر — (منحنيا اشعارا بالخضوع لكنه تبدو عليه أمارات الغيظ من جراء هذا التأنيب) — مولاتى ! — (يلتفت فيرى أحد العبيد محدقا فيه النظر فينهره بصوته ، ليحمل اليه ضربة السوط دون أن يتأنى بكلمة أو أين) — أنت ، أيها الوغد ، لماذا تحدق فىّ ؟ ... أيشوقك أن أفقأ عينيك ؟ ... اغرب عن وجهى وإلا سحقتك ! ... (يبتعد العبد مهرولا) .

بواب الهيكل — (وقد فتح الباب ، متواضعا) — إننى فى خدمتكم أيها السادة ... لكن ، يلزمنى معرفة من أنتم ...

بنت أنات — (وقد تحفز بعاكر للكلام فسبقته ، بصمت بعاكر راغما) — أنا بنت أنات ، ابنة رعمسيس ، وهـذه نيفرت قرينة مينا ، من الأعيـان المقربين من والدى ... كنت سـائرة فى هذا

الجمع بالوادى ، الممتد غربى مقابر طيبة ... وكنت فى مركبة يجرها اثنان من الجياد الصافنات ... وكان بعاكر فى مركبة مثلها . فعند عودتى أراد أن يسابقنى ، زاعما أن جياده أسرع من جيادى ... فاصطدمت المركبتان ووقعت الخيل ، فداست فتاة رائعة الحسن ، كانت تحمل وردا شبيها بخديها ، وأصابتها بجرح أخشى منه الخطر على حياتها ... ولقد عنيت نيفرت بأمرها فضمدت جراحها ثم نقلناها الى بيت جدها الذى يدعى بينم ، وهو من عمال المقابر الذين يشتغلون بحفر المقابر ليحنطوها ...

بواب الهيكل — وهل دخلت داره الحقيرة ، أيتها الأميرة؟ ...

بنت أنات — ... لست أجهل أن من يدخل ديار هذه الطائفة يدنس نفسه ... ولكن ... كان هذا واجبا ، فرضته على مقتضيات الحال ...

نيفرت — قد تطهر بنت أنات من الدنس على يد أحد كهان هذا الهيكل ... أما ذلك الرجل المنحوس فقد يشقى طول حياته ، اذا لم تشف ابنته من جرحها الخطير ...

بنت أنات — (بصوت خافت ، متهدة) — حمدا للآلهة على ما قدرته وقضت به — (الى الكاهن) — أيها الأب الجليل ، لقد عرفت الآلهة حريصة على مساعدة الفقراء والمنكوبين ، لهذا جئت راجية ...

بواب الهيكل — أحسنت صنعا أيتها الأميرة ، وثق بأن هاتور إلهة الأنوار السماوية ، هى التى بثت فى قلبك الرحيم عواطف الرفق وأودعته آيات الحقيقة — (برهة صمت) — لاريب أنك جئت الى هنا فى طلب طبيب لعلاج الجريحة ، و ...

بنت أنات — نعم ...

بواب الهيكل — اذن ، سألتمس من رئيس الكهنة أن يكلف طبيبا ماهرا بمداواتها ... لكنى أجهل مكان بيت المحنط ... أين هو ؟ ...

بنت أنات — بحرى بيوت حاتاسو ... على أننى سأترك هنا أحد رجال حاشيتى ليرشد الطبيب الى دار الجريحة ... سيبقى هنا بعاكر ، بما أنه قد أحضر معه أيضا بعض الهدايا للآلهة تكفيرا عما ألحقه بالفتاة من أذى ... لقد كان شريكى فيما أصابها ...

بواب الهيكل — سألتمس أيضا من الرئيس آمينى أن يرسل اليك كاهنا تطهرين على يديه ...

بنت أنات — شكرا لك أيها الأب المبجل — (يخرج الكاهن).

المشهد الثانى

[السابقون ، ما عدا الكاهن]

[برهة صمت ، يسمع ترتيل من داخل المعبد ، تبدو على بعاكر علائم احتدام مكتوم ، يرفع انظاريه الى السماء متوسلا اليها فى عنف ظاهر].

بعاكر — ايتها الآلهة ! ... تقبلى قربانى ! ... صبى لعناتك على أعدائى ! — (فى هذه اللحظة يصوب نظرة ساخطة الى مينا الذى لا ينتبه اليها ، لكن يلاحظها الجمهور)

ميناً — لتسمع منك الآلهة الدعاء يا بعاكر ... لتنصرنا على أعدائنا ... أجل ، لتنصرنا على تلك الطغمة الشريرة التي جلبت الينا المصائب ... فها هي ذي الأخبار تتوارد من جهة الشمال بما يسوء سماعه كل وطني غيور ...

الحاجب — هل انهزمت جنودنا ؟ ...

ميناً — كلا ! لا يزال الظفر حليفها ، لكن سهام الموت أصابت أكباد ألوف الجند في ساحة القتال فاضطر الملك رعمسيس إلى طلب النجدة ، وفي وسع بعاكر أن يحدثك عن كتاب وصل اليه منه ، وقد سلمه الى الرئيس آميني ، يتضمن الأمر بحشد خمسين ألف مقاتل ، لا مفر من حشدها من الزارعين والصناع ، بما أن طبقات المجندين جميعاً قد خرجت للقتال ...

الحاجب — الزارعين ! ... الصناع ! ... لكنهم عماد البلاد ، ودعامة الحياة كل ... وهل يذعن آميني لهذا الأمر ؟ ...

ميناً — سيضطر آميني الى الإذعان . لئن كان الملك يبالغ في توقيره وفي اغداق النعم عليه لما اتصف به من فضل وتقوى ، فهو لا يريد أن يكون ألعوبة في أيدي الكهان ... ان غاية ما يطمع فيه رعمسيس ذو القضاء على سطوتهم الممتدة الى كل ما تعوديني ودنيوي ، وقصرها فحسب على ما له علاقة بالدين ... على أني لا أحال آميني الا مخلصاً للبلاد ، وسينفذ عن طيب خاطر ...

نيفرت — (بصوت خافت) — حذار يا ميناً ... إنك لتتهور في التصريح بهذه الأمور ... واسمت آمن جانب بعاكر ... أما رأيته يصوب اليك نظرات محتدمة ساخطة ... وحين استنجد

بالآلهة ولفظ كلمة الأعداء فأكبر ظني أن العدو الذى يقصده هو أنت ، لا قبائل الشمال والخيتاس الذين نحاربهم ...

مينا — ويك يانيفرت ، ماذا تقولين ؟ ... أبعاكر ؟ ...

نيفرت — إنه يكرهك ويضمر لك الضغينة... لقد علمت أنه يأتى كل يوم الى هـذا المعبد ، يقدم القرابين والهدايا ، وينفق فى سبيلها الملايين ، لا لسبب سوى الاستنجاد بها على هلاكك... يتظاهر بأن ما يفعله انمـا هو عن تقوى ، فتارة التماس الرحمة لروح أبيه ، وتارة بغية أمور أخرى ينتحلها كما يفعل الليلة ... لكن الآلهة لن تستجيب صلواته ، مادامت الشياطين تتخذ جسمه وكرا لها ، ومادامت أوداجه تنتفخ شرا وأذى ...

مينا — صه ... انه متنبه الينا — (فى هذه اللحظة يدخل الكاهن مستدعيا بعاكر) .

المشهد الثالث

[السابقون ، الكاهن]

الكاهن — قـد أمرنى الرئيس آمينى باستدعاء السيد بعاكر أولا ليحظى بنعمـة التقريب للآلهة ... وسيلبى التمـاس مولاتى الأمـيرة حالمـا تنتهى ترنيمة الختـام — (يشير الكاهن الى بعاكر بما معناه أنه يفسح له الطريق لدخول المعبد ، فيخرج بعاكر فى عظرسة ظاهرة ، يصحب الخدم الذين يحملون الهدايا ثم يتبعهم الكاهن) .

المشهد الرابع

[السابقون ، ما عدا الكاهن ، وبعاكر ، والخدم حاملى الهدايا]

نيفرت — (وقد شيعت بعاكر بنظراتها) — أى صلف ! ... أى كبرياء ! ... أية أنانية ! ...

بنت أنات — ماذا عراك يانيفرت ؟ ... لم هذه الحدة ؟ ...

نيفرت — أرأيت أيتها الأميرة بأى عين كان يرمق زوجى ، الوحش الضارى ! ... لقد بدت لى عيناه المحملقتان فى ظلمة هذا الليل كأنما تشعان ألسنة من نار ، وان صوته الذى ارتفع عاليا باستنجاد الآلهة لأجدر ما يكون عندها سببا لادانته ... أكره منه هذا الخلق الفظيع ، ونفسه الخبيثة الشريرة ... مذ كان صغيرا تمثل فيه غلظة الكبد ... الشراسة والقسوة ... رأيت بنفسك كيف يعامل خدامه . . . وهذا العبد المسكين الذى ألهبه السوط .. تلوى جسمه كالحية من شدة الألم ، ولم يفه لسانه بكلمة ولا أنين ... خيفة أن يوسعه الطاغية عذابا فوق عذابه ... انى لأرثى لحال أولئك التعسين ! ... عندما كان طالبا فى بيت سيتى ، كان يتجبر ، ويشمخ بأنفه على زملائه وأساتذته حتى كرهه الجميع ... واذا كان الكهنة يجارونه فى كل مايبتغى ويتظاهرون بإكرامه ... فطمعا فى كباشه وأمواله ... لا تكريما واعظاما ...

بنت أنات — هدئى من روعك ، ولاتحزنى ... ماذا يهمك إن كان قاسيا شريرا ، وكان ينظر الى مينا شزرا ، أو كان يجله ... ان مكانة زوجك محفوظة عندأبى والجميع ، لاينازعه فيهامنازع ...

نيفرت — ان بعا كريغار منه ، يتمنى له الهلاك ، وهذا ما أمقته من أجله ...

بنت أنات — ألأن مينا حارس الركاب وهذا ما كان يطمح أن يكونه ...

نيفرت — أجل ، ولأنى زوجة مينا ! ...

مينا — ومتى كان هذا الأحمق الغليظ أهلا لحبك والاقتران بك ! ... يا للغبى التعس ! ... ألا إن الآلهة تنتقم من كبريائه بما أودعت قلبه من غرام لن يكون الا وخيما عليه . اعلم أنه كان يحبك وأنه أرسل يوما أمه نبخت الى راتوتى والدتك كى تطلب له يدك . تنفيذا لما تواعد عليه الأختان أن تكون الفتاة لابن خالتها لأنه أولى الناس بها ، لكن خاب فألها لأن الحب تسلط عليك فهدم بنيانا شاده الأهلون ، وكلمة آمرة من فم رعمسيس كانت لنا نعمة الحياة وبلسم القلوب ... أعلم كل ذلك ، لكن لم يدر بخلدى أنه يكرهنى بمثل ما تصفين ...

نيفرت — لأنك طيب القلب يامينا ، وهذا ماحببك الى ... ان صفاء نفسك يشبه جمال بشرتك ورقة شعورك تشبه النسيم ...

مينا — معبودتى نيفرت ! ...

نيفرت — (بنشوة) — معبودتى نيفرت ! ... هكذا قلت يوم صرحت لى بحبك للمرة الأولى ... ما أحلاها كلمة على سمعى ... لقد ظل صداها يتردد فى أذنى فيشجينى ، رغم احجامى ذلك اليوم عن بثك خلجاتى ، حتى كان عيد ميلاد الملك ، ورأيتك تقود عجلته ، فبدوت كإله حانت منه التفاتة الىّ ورمانى من لحظه بسهم صائب ... يهزنى منظرك الشائق فى شارتك الجميلة ، وخيل الى أن الإلهة هاتور نسجت حولك نسيجا لحمته وسداه أشعة الشمس...

مينا — أحبك نيفرت ! ...

نيفرت — ذلك اليوم ، تذكر ، حين كلمتنى ، لم أتمالك أن استسلمت لعاطفتك ، وبحت بغرامى ...

مينا — (بنشوة) — أذكر كل ذلك ، واذكر أيضا أننى أخذتك بين ذراعى ، وضممتك الى صدرى بقوة فكنت أسمع خفقان قلبك ثم قبلتك... هكذا — (يهم بأن يقبلها ثم يتراجع حين يتنبه الى وجود بنت أنات) — يا للآلهة ! ... لقد نسينا نفسينا فاسترسلنا فى حديث غرامنا — (الى بنت أنات) — معذرة مولاتى ...

بنت أنات — لكما العذر يامينا ... أدعو لكما بالسعادة والهناء .

مينا — (متأثرا من هذا العطف) — شكرا لك مولاتى من أعماق نفسى ...

المشهد الخامس

[السابقون ، بنطاؤر]

[يظهر على باب الهيكل الكاهن بنطاؤر ، وهو وسيم الطلعة طويل القامة تبدو عليه هيبة ووقار ... برهة سكون ... تتقدم الأميرة بنت أنات فى جلالة يحوطها الخشوع حتى اذا دنت منه لم تمالك أن تجثو على ركبتيها فيناولها الكاهن يده فتقبلها] .

بنت أنات — التحية والاحترام لنائب الآلهة ، من بيده مفاتيح السموات ...

بنطاؤر — لك المجد يا ابنة رعمسيس ، انهضى ، والق على سمعى التماسك ومبتغاك ...

بنت أنات — (ما زالت جاثية) — قد أذنبت يا أبت وعن الذنب جئت استغفر ، فهل أحظى بنعمة الغفران ؟ ...

بنطاؤر — مادمت صادقة التوبة فالآلهة لن تخيب لك رجاء انهضى يا ابنتى ، ثم تكلمى ...

بنت أنات — (وقد نهضت) — قد دخلت وجار محنط تلعنه الشرائع ، لكنى لم أدخل بغيـة الإثم والمخالفة ، بل بدافع شفقة وحنان ، واسكاتا لصوت ضميرى الذى كان يبكتنى ...

بنطاؤر — قـد مسك الدنس على كل حال بدخولك ذلك الوكر اللعين ، وقد وضعت الشرائع للدنس عقابا صارما ، فهل أنت على استعداد لقبول هذا العقاب ؟ ...

بنت أنات — (بعد تردد مخلصة من الإجابة) — أعترف يا أبت بأن تناقضا بدا لى بين ما تحتمه الشرائع من عدم دخول أوكار الفقراء ، وما يحتمه الضمير والوجدان ، من مؤاساة ذوى الفاقة والأخذ بناصرهم ... لقد رأيت الإله رع الذى يجوب فى زورقه الذهبى السموات يرسل أشعة الشمس الى أكواخ المعدمين كما يرسلها الى قصور الفراعنة ودور الأغنياء...فلم تكون تلك الأكواخ مدنسة ، ولم تكون القصور طاهرة نقية ؟ ... واذا كان الإحسان فضيلة يعظمها الآلهة ويثيبون عليها فأى الناس أولى من هؤلاء بالاحسان؟... واذا كانت ضمائر الناس تحاسبهم على اهمال الخير ، فكيف بضمير أميرة تدوس بمركبتها ، ساعة لهو ونزهة ، تعيسة مسكينة؟ أو تغضب منى الآلهة لأنى واسيت جريحة ، قد أكون سبب موتها ، ويغلق الكهنة فى وجهى أبواب معابدهم لأننى لبيت نداء ضميرى ؟ ... أمن أجل هذا قد استحققت صارم العقاب ؟ ...

بنطاؤر — اذا كنت غير نادمة على فعلتك فلا سبيل عندى الى الغفران ... قد أتيت أمرا يخالف شعائر الدين ، وتعده الشرائع حراما ، واذا كان ارتكابك الخطيئة قد جعلك تبررين مناقشة النصوص لتحليل ما هو محرم ، فقد ارتكبت إثمين ، واستحققت عقابين ، لأن ما كان من شؤون الكهنة وحدهم لا يحق لأى من البشر أن يدلى فيه برأى أو يعترض عليه اعتراضا ...

بنت أنات — لم أناقش النصوص كى أبرر خطيئتى ، والا ما جئت ألتمس من الكاهن غفرانا...لقد كنت سليمة النية عندما تصورت أننى بفعلى سأرضى آلهتى ، واذ اعترفت بما بدا لى من

تعارض بين ما يرضيها ، وما يفرضه الكهان ، قصدت أن يكون عقابى مماثلا لهفوتى ، وعلى قدر قصورى يكون العفو عنى ، أفتمنحنى بركتك يا أبت ؟ ...

بنطاؤر — إن مجيئك الى هنا التماس الغفران ، بعد أن جالت بنفسك عوامل التمرد والمروق ، دليل شك لديك فى صدق تلك العوامل... كذلك اقرارك بقصورك عن فهم حقائق الدين ، دليل عودتك الى الرشد ورجوعك الى الحق ، وسلامة نيتك فيما ذهبت اليه من معتقدات ، ستخفف من عظم خطيئتك ، وستشفع لك فتجعل العقاب أمرا يسيرا ، وتطهيرك من الدنس شيئا ميسورا ... لكنى قبل أن أقيم المراسيم الضرورية لمثل هذه الحال ، يلزم أن أستأذن الرئيس ، فإليه يرجع الأمر ، ومنه أستمد سلطة الغفران ...

بنت أنات — شكرا يا أبت ...

بنطاؤر — يمكنك أن تنصرفى الآن بسلام . لتطمئن نفسك ولتذهب عنك أشجانك... عند ما تأتين غدا ، أرجو أن يكون آميني قد وافق على اقامة الصلوات ورتبة التطهير ، فتخرجين من هنا طاهرة الذيل ، نقية كشعاع الشمس ...

بنت أنات — واذا رفض آميني ؟ ... أو فرض على عقابا قاسيا ؟... إنه متجبر فى تنفيذ النواميس شديد الحرص على مراعاة النصوص ! ...

بنطاؤر — لن يفعل ذلك آميني ...

بنت أنات — عدنى يا أبت أن تبذل غاية الجهد ألا يخيب عنده رجائى ...

بنطاؤر — لك عهدى يا ابنتى أن تنالى على يدى ما تريدين...

بنت أنات — وداعا ، أيها الأب الجليل ...

بنطاؤر — الى الملتقى — (فى هذه اللحظة يكون العبيد قد أعدوا المحفتين اللتين كانت بنت أنات ونيفرت قد نزلتا منهما لحمل الأميرة ونيفرت ، تتجه بنت أنات نحو محفتها حتى إذا بلغتها ، توقفت كمن نسى أمرا ... تتردد ثم تتجه نحو الكاهن الذى ظل واقفا مكانه يشيعها بنظرة يمازجها الإعجاب والدهشة) .

بنت أنات — والجريحة ، يا أبى ؟ ...

بنطاؤر — سيعودها الآن طبيب ماهر ... تبسمت ، صديقى ...

بنت أنات — أتوصيه خيرا بها ؟ ...

بنطاؤر — سأفعل ...

بنت أنات — فى أى وقت من النهار يحسن أن يكون حضورى الى المعبد ؟ ...

بنطاؤر — بعد صلاة الصباح ...

بنت أنات — (بعد تردد ، كأنها تناجى نفسها) — سيكون لدى إذن من الوقت — (تتوقف) — ولكن ... أيتها الآلهة ! ... أنيرى بصيرتى ! ... إن حيرة تكاد تقتلنى ! ...

بطاؤر — ماذا عـراك أيتها الأميرة ؟ ... أفى الأمر ما يدعو الى هذه الحيرة ؟ ...

بنت أنات — (بحزن) — نعم ... إن الجريحة التى أشرفت على الموت بسببى والتى عاشت بلا ريب ، بحكم طبقتهـا ، محرومة مسرة الحياة ونعيمها ، يحزنى أن تطبق جفنيها ، وآخر نظرة ترسلها إلى العـالم يكون منؤها الازدراء بى واتهامى بالظلم والقسوة ... إن قلبى ليتصدع لهجرها ، ويبدو لى أننى لأتصف بالجبن والنذالة إذا لم أبادر بتشجيعها فى ساعاتها الأخيرة ، على احتمال الألم ، وتزويدها الكلم التى تجلو صـدرها وتذهب عن نفسهـا الأسى ... كلمـا تمثلت ذلك الجمال يذوى ، وأيقنت بقرب زواله ... كلمـا تمثلتها طريحة الفراش تئن وتتلوى ، كأنهـا تتقلب على جمر أو قتاد ... تتمرد نفسى على ...وجميع سباب البشر وسخطهم أحسه يتساقط على رأسى ، — (وقد اختنق صوتها) — معذرة ياأبى ... ان مارأيته من مشاهد البؤس والفاقة ، التى تعيش فيها هـذه الغادة المسكينة ، فضلا عن آلامها المبرحة ، النفسية والجثمانية ، يهيج حزنى ويثير حنانى . ترى يا أبى ، لا أستطيع حبس دموعى ... إننى أبكى ...

بطاؤر — (متأثرا لكنه يحاول أن يخفى تأثره ، يهدو، تملؤه روعة الوعظ) — كفكفى الدمـوع أيتهـا الأميرة ... ان بكاءك لن يعود عليك بطائل ... إذا كنت تقصدين من وراء ذلك أن يسمح لك بزيارة الجريحة ، ماسمح لك الوقت بأداء هذه الزيارة ، فتضيفين هذا الذنب إلى ذنبك المـاضى ، على أن تطهرى من الذنبين مرة واحدة ، فاعلمى أن هذا الفعل يناقض التوبة ، لأن الندامة

الصادقة على إثم مضى تقترن بتمنى الخاطئ لو أن الإثم لم يقع ... إن فيما تبتغين استهتارا بالمراسيم ...

بنت أنات — (وقد ظلت صامتة برهة ، معيدة على نفسها بحزن) — يتمنى الخاطئ لو أن الإثم لم يقع ... فيما أبغى استهتار بالمراسيم — (خائفة) — أية خطيئة فظيعة قد ارتكبتها يا ابنة رعمسيس فارتجت لهولها جدران المعابد وارتعدت فرائص الكهنة ... ألا ايتها الآلهة المقدسة ، ان كنت فيما أقدمت عليه من فعل قد أسأت... إن كنت فى علمائك ، تنظرين إلى كريمة حائدة عن جادة الحق والصلاح ... إن كنت حقا تحتقرين الفقراء والمساكين ، وتصمينهم بالدنس ، وتضربين عليهم الذل ، وتحكمين بالموت وهم على قيد الحياة ، وفيهم من هم أشرف نفسا ، وأعلى همة ممن اندسوا فى سلك الأشراف ، وأطهر قلبا ممن يحتقرون المدنسين ... ان كان ذلك أيتها الآلهة العادلة ، وكنت تنبذين الخير ، فالهمينى الطريق الذى يجب أن أسلكه ، فألبس إن شئت من الشر جلبابا ، وأتخذ الرياء والخداع لى شعارا ...

بنطاؤر — (مرتاعا) — أيتها الأميرة ...

بنت أنات — أيها الكهنة ، حتام النفاق والتغرير ؟ انكم لتعلموننا غير ما تعتقدون ...

بنطاؤر — (متوسلا) — أيتها الأميرة ...

بنت أنات — أيها الكاهن ، ادخل إلى أعماق نفسك وسل ضميرك إن كان راضيا عنها ...

بنطاؤر — (وقد رفع رأسه الى السماء وأغمض جفنيه متألما) — أى نفسى ! ... تلك هى الكلمة التى كنت أتوقعها من أميرة بعيدة التفكير ... نغرر بالقوم ، ونعلمهم غير ما نعتقد ... حتام هذا النفاق ... مغفرة أيتها الآلهة ... ألف مغفرة ... انك لصائبة الفكرة أيتها الأميرة ... طاهرة النفس والقلب ... اذهبى حيث تريدين ... فلترعك السماء ، ولتهدك سواء السبيل ...

بنت أنات — شكرا أيها الاب ، ومعذرة ...

بنطاؤر — قد قلت حقا أيتها الأميرة ... إن الآلهة لا تنبذ الخير كيفما اتفق وقوعه ... اذهبى ، إنى أدين بمبدئك وأعتنق فلسفتك وحكمتك ... ان كان علىّ أن أشكر الآلهة ، فلأنها أوجدت على الأرض قلبا يحس ما أحس ، وبصيرة ترى ما أرى ...

بنت أنات — (متضرعة) — وافرحتاه ! ... صافحنى ياأبى ! ... (يلتفت بنطاؤر طرف ثوبها) خل هذا عنك وضع يدك بيدى ، لتعمنى بركتك ... قد آمنت بطيبة قلبك ، وبأنك صادق تنطق بالحق ...

بنطاؤر — وداعا الآن قبل أن يأتى آمينى ... ولا تنسى أن تحضرى غدا ...

بنت أنات — نعم فى الموعد المتفق عليه — (فى هذه اللحظة تتجه بنت أنات نحو محفتها لتترجع فيها ، تقتدى بها نيفرت ويتحرك الموكب للسير . يبدو على بنطاؤر أنه متألم وأن فى نفسه نزاعا بين عوامل شتى ... لا يفارق نظره بنت أنات حتى تغيب عنه) .

نيفرت — (قبل أن تجلس فى محفتها) — أى انقلاب بغائى أيتها الأميرة... من كان يحسب أن بنطاؤر يلين بعد شدته... إن له حقا لنفس شاعر أكثر مما له نفس كاهن ...

مينا — (إلى نيفرت) — أجل ! شاعر فيلسوف ... قد تبيّنت خلال أشعاره الكثيرة التى نظمها بعض مايدين به من المبادئ التى يخالف فيها الكهنة ... لكنه لا يصرح بها بجلاء ، لاريب محافظة على درجته فى الكهنوت ومركزه فى بيت سيتى ... أقسم إن هذا الانقلاب ليس وليد ساعته .

المشهد السادس

[بنطاؤر ، ثم نبسشت]

بنطاؤر — (بعد أن يغيب الموكب عن نظره ، مشيرا إلى الطريق التى سارت منها بنت أنات) — أيها الفكر الطليق ، حلق فى سماء الحرية ... أيها الكاهن المصفد فى أغلال الكهنوت ، ارزح تحت نير أغلالك ... واسوأتاه ! ... قد كاشفتها بما ضننت به على جميع البشر ، ألقوة حجتها خضعت ، أم لسحر جمالها ؟ أم للقوتين ! — (لحظة سكون ، تبدو فيها على وجه بنطاؤر حيرة شديدة . أثناء ذلك يدخل الطبيب نبسشت وهو يحمل حقيبة بها عقاقير طبية) .

نبسشت — (يتوقف لحظة عند مايرى بنطاؤر ثم يقترب منه) — ما بال صديق مغتما ، تبدو عليه أمارات الأسى ، وقد عهدت فيه دوام البشر والرضا ...

بنطاؤر — أجل ، أيها الصديق ... ان حزنا قد انتابنى ، لم يكن لى بمثله عهد ، ولا عرفت له نظيرا ...

نبسشت — وما الباعث إليه ؟ ...

بنطاؤر — ... ابنة فرعون ...

نبسشت — لست أفهم والآلهة ! ... أعندك وجد بها ؟ ...

بنطاؤر — (متنهدا) — وجد سيكون قاتلى بعد أن حاولت قتله ...

نبسشت — أو يرجع إلى زمن مضى ، أم هو كوقع الصاعقة ؟... انك لم تحدثنى به قبل الآن ؟ ...

بنطاؤر — ولم أجرؤ قبل هذه الليلة أن أحدث به نفسى. لقد تألمت فى صمت مدى طويلا ، كنت فيه أخادع نفسى بأن مايخالجنى ليس إلا ضربا من الاعجاب البرىء بما صنعت يد الله... لا أكتمك مع ذلك أيها الصديق ، أنى إذ كنت أراها فى الحفلات الدينية التى اعتدنا أن نقيمها فى طيبة الأموات ، رغم أن معرفتى بها لم تتعد الاستشراف اليها من بعيد ، كانت غيرة تشب فى قلبى وتأكلنى ، كلما شهدت الناس يفتتنون بحسنها فيشيعونها بنظرة حب أو يشيدون بسجاياها ... لكن ... وا أسفاه ! ... أيطمع ابن بستانى حقير إلى ابنة الجالس على عرش مصر ؟ ...

نبسشت — وما الضير ؟ ما ارتفع ابن البستانى إلى مرتبة الكهنوت ! ... أفليس لك من مركزك جاه وسلطان ، ومن علمك وأدبك عزيز مكانة وبعيد صيت ؟... بنطاؤر ! ... ليخيل إلى

من لهجتك الحائرة أنك جبنت أمام بنت أنات ... كيف استقبلتها الليلة ؟... لقد أنبئت بسبب مجيئها ... و... إذا لم يخطئ ظنى، فأخشى أن تكون من أجلها قد تهاونت فى شأن ... من شؤون وظيفتك... الكهنونية... أنت شاعر...وقد عرفتك رقيق العاطفة، سريع التأثر ...

بنطاؤر — (بونيا) — رفقا، أخى، بمن يبثك الشكوى، ويعرض عليك سوء ما وقع فيه — (وقد أخذته عزة النفس) — لم أكن قط جبانا، وما فرطت فى الحرص على أن تكون لهـذا الثوب مكانته واحترامه ، غير مفرق فى ذلك بين ابنة الملك ، وأية فقيرة من أفراد الرعية ... لقد قابلتها بمثل ما أقابل جميع الخاطئين ، بل لقد قسوت عليهـا حتى أبكيتها ... كان ذلك واجبى و إنه ليتعارض ، كما ترى ، مع ما بى من هوى وما كنت أبتغى أن تكون عليـه أول مقابلة بيننا ... لكنها تكلمت بمثل ما يتكلم الفلاسـفة ... لقد لمست عندها وجدانا حيا ، وبصيرة تنبذ الخرافة ، والتعاليم الباطلة، وتدين ، بما ندين به ،أنا وأنت ... بل جميع الكهنة ... عندما يخلون إلى نفوسهم ويكونون بمعزل عن الناس ...

نبسشت — فماذا فعلت ؟...

بنطاؤر — ما كنت تفعله أنت لو كنت فى مكانى !... حاولت التسلط على فكرهـا ، فلم أقو ... وحاججتها فلم تقتنع ... أخيرا ، أشفقت على وجدانها أن يموت ، وعلى بصيرتها المتقدة أن يغشاها الضلال ... فلما التمست منى أن تعيد زيارتها للجريحة ...

نبسشت — أذنت لها ؟...

بنطاؤر — وما الضرر ؟ ... لست أعتقد بالدنس ، ولا أنت لعمرى ...

نبسشت — ولا أنا ، طبعا ... لكن ، ما تكون حيلتك عند آمينى ؟ ... هذا سر اعتراضى .. فيما عدا ذلك ، تعلم أنى أنتصر لمبادئك ...

بنطاؤر — هذا ما رغبت فى استشارتك فيه... لن أستطيع على أية حال أن أكتمه الحقيقة... الصراحة دأبى ، كما تعرف عنى... لئن كان هذا الأمر قد سبب حزنى لحظة ... فانى الآن سأجهر أمامه بحقيقة ما فى نفسى ... أنى ، نبسشت !... إذا كنا نحاول أمام جموع الناس أن نبدو على غير حقيقتنا ... وألزمهم الايمان بما لا نؤمن به ، ونحمل أنفسنا ، أنا وأنت ، آلام هذا البهتان ، فلا أقل من أن نعجب بالنفوس العظيمة ، والعقول المفكرة التى لاتخضع لخرافة ، ولا تسلم جزافا بكل ما يجبرها الكهان أن تسلم به ...

نبسشت — صدقت يابنطاؤر ، لكن هون على نفسك ، ولا تبتئس ... عما قريب — (فى هذه اللحظة يسمع حركة فتح باب الهيكل فيخرج بعاكر صحبة آمينى ، يتبعهما العبيد الذين كانوا قد دخلوا فى ابتداء الفصل وهم حاملون القرابين) .

بنطاؤر — حذار ... هذا بعاكر يصحبه آمينى — (يلاحظ بعد خروج جميع العبيد وقوف آمينى وبعاكر بعد ان انحيا من المسرح ناحية قصية حتى لايسمع حديثهما نبسشت و بنطاؤر ، الحديث الذى يدور بينهما جدى و يلوح من لهجته أنه مرى ، لكن يلوح أنهما قد أتيا على نهايته) .

آميني — (الى بعاكر) — اذن تبلغ الوالى تحيتى وتمام رضاى ... غدا ، سأكون فى انتظاره ...

بعاكر — سأفعل يا أبت ...

آميني — (وقد وضع يده على كتف بعاكر) — ألا ، فليعلم الذين يحاولون أن ينتقصوا من سلطاننا الذى منحتنا اياه الأرباب أن اليد التى فى وسعها أن تعاضد التاج ...

بعاكر — (متمما) — فى وسعها أن تنزعه ...

آميني — وداعا يا بعاكر ... سأصلى للآلهة أن تحقق الرجاء ...

نبسشت — (وقد التفت الى آميني) — نعم يا أبت ...

آميني — هل أعددت ما يلزم لمداواة الجريحة ؟ ...

نبسشت — كل شىء ، وسأصحب السيد بعاكر الى دارها ، متى سمح بذلك ...

بعاكر — عفوا ، أيها الأب المحترم ، إنى لعلى تمام الأهبة للرحيل — (يصحب نبسشت بعاكر ، يخرجان ، يخرج وراءهما العبيد) .

آميني — وأنت يابنطاؤر ، هل من جديد لديك ؟ ...

بنطاؤر — فى أى شأن يا أبت ؟ ...

آمين — بى حاجة اليك لمحادثتك فى شأن الأميرة ، فهل تتبعنى الى غرفتى ؟ — (دون أن ينتظر آمنى ردا على سؤاله ، يدخل الى الهيكل فيتبعه بنظرة دون أن يحير جوابا)

(ختام المنظر الأول)

المنظر الثانى

[يمثل المسرح وجار المحنط بينم ، وهو عبارة عن كوخ مبنى من الآجر وطمى النيل — عند رفع الستار تبدو امرأة عجوز مقوسة الظهر ، وقد جلست على الأرض ، ولبست ثوبا قطنيا أزرق مشقوقا من الأمام ، وهى تضم اليها فتاة فى سن الشباب ، و يظهر من تناسب أعضائها أنها هيفاء القد ، ومن بياض وجهها وقدميها الممتدتين أنها احدى الفتيات اللاتى سباهن الجيش المصرى فى حربه مع أقوام الشمال ، وقد جلس عند قدمى الفتاة شيخ طاعن فى السن . أما الجريحة ، فهى خشنة الثوب الذى يكاد لايستر الا عورتها ، وجزءا من جسمها . هى فى غيبوبة من تأثير المسكن الذى تناولته ، ولكنها تتشنج من آن الى آن ، كلما اشتد عليها الألم ، لكن دون أن تستيقظ وقد رصعت شعورها الطويلة بالورد.

ويبدو على المـرأة العجوز والرجل الشيخ أن التعب قد أثر فيهما فاستسلما لإغفاءة طويلة ... فى ناحيـة من المسرح ، بنت أنات واقفة تمسح دموعها بمنديل فى يدها ، والى جانبها الطبيب نبسشت يحادثها . الوقت الفجر والنهار يطلع شيئا فشيئا] .

نبسشت — تبكين ، أيتها الأميرة ؟ ... انك لرحيمة ، طيبة القلب ... لكن ، ماذا يجـدى البكاء ... كفكفى الدموع ، بحق الآلهة ... لم تزل عندى بارقة من الأمل ...

بنت أنات — (بفرح) — حقا ، يا أبى ؟ — (بلهفة) — قل لى إنها بخير ... وإنها لا تموت — (وقد ظل صامتا ، يبدو عليه التأثر — لنفسها) — لك الآلهة ، أيتها الحسناء ... كم أتألم من أجلك ! ...

(فى هـذه اللحظة تحرك وردة كمن يحاول أن يتقلب فى فراشه فيمنعه الألم ، تتأوه ، لكنها لاتزال فى غيبوبة ، تسارع اليها بنت أنات ، منحنية عليها منادية)

وردة ! ... وردة ! — (تحرك وردة قليلا ، وتتأوه ، ولكنها لا تزال فى غيبوبتها ، تمر بنت أنات بيدها على جبين وردة ، وشعرها — الى نبسشت)

ماذا بها ، يا أبى ؟ ... إنها تتأوه ، ولا تزال فى غيبوبتها ...

نبسشت — هذا أثر المسكن الذى تناولته ... عما قليل تفيق ، وربما استطعت أن تحدثيها ...

بنت أنات — (معيدة ندامها فى حنان كثير) — وردة ! ... وردة ! — (وردة تفتح عينيها كمن يفيق من غيبوبة طويلة ، تبدو عليها الدهشة

وردة — من ينادينى ؟ — (تمر بيدها على جبينها محاولة أن تستجمع ذاكرتها ، لكن لا يفارقها اندهاشها) — الى بنت أنات من أنت ؟ ... ياسيدتى ...

بنت أنات — أنا بنت أنات ... أنا ابنة الشمس ، ياوردة...

وردة — (بدهشة) — ابنة الشمس ؟ ...

بنت أنات — نعم ، ابنة رعمسيس !...

وردة — (وقد عرتها دهشة هى أقرب الى الخوف ، نسيت معها ألمها ، وهمت بأن تذل فى جلستها) — ابنة رعمسيس ! ...

بنت أنات — نعم ، ابنة رعميس ! ... أفى هذا مايدهشك؟ ... لماذا ترتاعين ؟ ...

وردة — (بنفس اللهجة) — لكن ! ... ماذا جاءت تصنع ... هنا ... ابنة رعمسيس ! ...

بنت أنات — (بحنان) — جاءت تسأل عنك ! ... جاءت تطمئن عليك ! — (تتنبه وردة الى لبسها غير اللائق ، والمكان الحقير الذى تعيش فيه فيتولاها الخجل ، تهم بأن تستر نفسها بغطاء بجانبها ، تساعدها بنت أنات على تغطية نفسها) — خلى عنك ... لا تزعجى نفسك ! ... سأبعث اليك بكسوة جميلة ... فاخرة ... فهل تتقبلينها منى ؟ ...

وردة — (بعد تردد وحيرة) — نعم ... نعم — (ضاحكة) — شكرا — (متهللة) — انك لطيبة القلب ، يا ابنة — (وقد نسيت الاسم ، كمن يحاول أن يتذكر) .

بنت أنات — الشمس ! ...

وردة — الشمس ! — (باندفاع يشبه فرحا) — يا له من اسم جميل ! ...

بنت أنات — أليس كذلك ؟ ...

وردة — (وقد عاودها الحزن ، كأنها تحدث نفسها) — لأول مرة فى حياتى رأيت الشمس تدخل هـذه الدار ... نحن الفقراء نعيش محرومين من هذا النور السماوى ! ...

بنت أنات — لن تحرمى منه بعد اليوم، يا وردة ! ...

وردة — لا تسمينى وردة ، يا مولاتى ... هذا الاسم قد عاد يؤلمنى ! ...

بنت أنات — إنه اسم جميل ، لمسمى أجمل منه ...

وردة — قد كان ذلك ، فيما مضى ... أما اليوم — (تشير الى وجهها الذابل) .

بنت أنات — ماذا ؟ ...

وردة — لقد ذبلت الوردة... لقد ذوت أوراقها ... عما قليل ... من يدرى ! ... هذه الحياة ...

بنت أنات — خلى عنك هذه السوانح الحزينة ... هذا اليأس لا يتفق وجمالك ، ولا شبابك ... لقد بشر الطبيب بقرب شفائك ! ... أليس كذلك ، يا أبى ؟ ...

نبسشت — بلا ريب ، بلا ريب — (الى وردة ، مترفقا) — لقـد تعرضت فى الحقيقة ، لخطر كبير ، وكنت خائفا عليك أول الليل ... كانت الحمى مرتفعة ، والنبض كان سريعا ...الآن ، ألمح بشائر الأمل ... لقد كان الدواء الذى تجرعت ناجعا ، ولن تمضى أيام قلائل ،حتى تندمل جراحك ، وتعاودك صحتك ...

وردة — (متهالة) — هل زال عنى الخطر ؟ ...

نبسشت — لا أكاد أرى خطرا الآن ...

وردة — شكرا ياأبى... شكرا ألف مرة!... ليت جدى وجدتى يسمعان من فمك هـذه الكلمات فتبدد بنورها ظلام اليأس الذى أخشى أن يكون قد استحوذ عليهما ...

نبسشت — (متأملا وجه جدها وجدتها ، متأثرا) — لهما الآلهة !... لقـد أضناهما التعب والحزن — (فى نفسه) — يا لتلك المخلوقات التعسة... انها لأرق قلبا من كل من رأيت — (فى هذه اللحظة يبدو اشتداد الألم على وردة ، فتأوه ، عند ذلك يستيقظ بينم على صوتها ، خصوصا أن النهار قد أخذت تبدو طلائعه ، يسارع الى وردة) .

بينم — ماذا يارى بحـانة القلب ! ... فديتـك بروحى — (الى نبسشت) — خبرنى بحقك ، أيها الطبيب، كيف هى الآن ؟ ...

نبسشت — اطمئن ،أيها الشيخ المسكين ... ان ابنتك بخير ...

بلنم — (الى بنت أنات) — وأنت ، أيتها الأميرة الكريمة ، دعينى أترامى على قدميك وأعفر رأسى بترابهما ... لقد طوقت أعناقنا بالمنن ، فهذه الزيارة التى اسنا أهلا لها ، وهداياك السنية التى لا تعدلها هدايا ، مما يعجز مثلى ، أن يؤدى عنه لمثلك ، واجب الشكر ... جزتك هاتور خيرا على صنيعك الحسن ...

بنت أنات — بل أنا التى أرجو ، يا أبى ، أن تكون قد صفحت عنى ! ... إن هذا المصاب الذى آلمنى كل الألم ، قد وقع على الرغم من إرادتى ...

بلنم — (وقد نهض عند سماعه هذا الرجاء) — أأنت إذن بنت أنات ؟ ...

بنت أنات — (وقد اطرقت برأسها) — نعم ، أنا ...

بلنم — (وقد قدحت عيناه بشرر من الغيظ ، متهكما) — إذن ، هيا ارحى هذه الدار ، والا تدنست نفسك مدى الزمن ... الى هذه اللحظة ، كنت أحسبك أميرة أخرى ، ولجت دارنا تفضلا واحسانا ...

بنت أنات — لن أبرح هذه الدار ، حتى تغفر لى ذنبى ...

بلنم — (مستمرا فى تهكمه) — رغما عنك ... ما فرط منك كان رغما عنك ... ألا تدرين إذن أن سنابك خيلك ، قد تدنست إذ لامست هذا النهد ؟ — (بصوت مرتفع وبلهجة آمرة) — انظرى ! ... (يرفع الغطاء عن صدر الجريحة ، فيبدو موضع الجرح مخضبا بآثار الدم) — هذه أول وردة رصعت بها يدك صدر حفيدتى ... أما الوردة

الثانية ... الوردة التى أردت مداراة ذنبك بها، ولعمرى إنها لأزهى الورود التى ترصع صدرها، فها أناذا ألقيها خارج الكوخ، فالتقطيها ان شئت ، على ألا تعودى الى هذا المكان — (يسارع الى نزع احدى الورود التى ترصع شعور الفتاة ، فتمسك وردة بيده ، لكى تمنعه عن هـذا العمل متوسلة) .

وردة — رحماك جدى ... لا تفعل ... ليس للأميرة ذنب ، ولا جريرة ... لقد وقع ما وقع ، قضاء وقدرا ... ان الأميرة إذ جاءت الى هنا ، جاءت معها الصحة والعافية ... انظر الىّ ... أما ترى أننى أحسن حالا — (عند سماع هذا الكلام ، يتراجع بينم وقد شعر بالخجل ، عند ذلك يضرب نبسشت بيده كتف بينم ، مؤنبا) .

نبسشت — أيها الشيخ الأبله !... أما تبصر بعقلك الضعيف وقلبك المتقرح بالحزن ، أن الأميرة انما جاءت تهديك وردة العطف والاحسان ، لا وردة الملق والرياء ... متى كان لأميرة فى سمو قدرها ، أن تهبط من علاها ، فتحضر الى هـذا المكان ! ... اذا كان الآلهة قد تقبلوا استغفارها ، أفلا تغفر لها أنت ، ولو لتكفر عن نفسك السيئة ، التى حملت وزرها بحكم الوراثة ، وستلقيه على عواهن أبنائك من بعدك على تعاقب الأجيال — (فى هذه الأثناء كان بينم قد سكنت عاصفة غضبه واستخذى فأطرق برأسه هنيهة ثم رفعه ليتكلم) .

بينم — ان يدك أيها الكاهن شديدة قاسية ، وكلامك أشـد ايلاما من طعنات الرماح ... صدقتم ... ان ما وقع من الأميرة كان

عفوا واضطرارا ، لا قصدا واختيارا ... هو القضاء المحتوم ، قد ساقنا جميعا الى ما قدر لنا ... شأن الأميرة فى ذلك شأنى ، اذ حرمت الطهارة دون أن يكون حرمانى جزاء شر صنعته يدى ، بل ثمرة ما قدر على إذ كنت صبيا فى المهد ، لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ... لقد قدر لى أن أحمل على عاتق وقر هذا المصاب ، أو أتناسى ما يدركنى بسببه من الشقاء ... لقد زهدت فى الحياة حتى أصابنى منها اليأس ...

نبسشت — (متأثرا ، لكنه يحاول أن يخفى تأثره ، متلطفا) — هوّن على نفسك ، أيها الشيخ المسكين ... ليست لنا حيلة فيما قضت به الآلهة ! ... عسى أن تكون آخرتك خيرا من هذه الحياة ... بعض الشجاعة لتحيا ، فهذا المجتمع الذى نعيش فيه ، انما يحتاج الى اطراح القنوط ...

بينم — (متهكما) — المجتمع ! ... وأية مكانة لى فى هذا المجتمع ! ... أو جعلتم لنا فيه مكانه ! ... ان كبار الناس وصغارهم ، يفرون منى اذا التقوا بى فى الطريق ، حذر أن يلحق بهم الدنس ، بل يقذفوننى بالأحجار كلما وقعت أبصارهم على ، سائرا كنت أو واقفا ! — (وقد اختنق ، لكن صوته اختنق ، كمن يقاوم البكاء) — أليس من مصائب الظلم أن أرى غيرى ينال من عمله الشرف والجاه ، ولا أجنى من عملى سوى العار والقذف بالأحجار والشتائم ؟ ...

نبسشت — (مقاطعا) — إن تنازل الأميرة لزيارة هذه الدار ، انما يكسوك حلة من الفخر ، تمحو عنك ما تشكو من العار ، وتخفف ما تعانى من الأمى ...

بينم — (وقد أغرورقت عيناه بالدموع) — لا يحمل صدرى حقدا للأميرة... جدير بمثلى ، وقد حرم أبد الدهر ملاذ الحياة ، أن يعفو عن الخطايا ، ويتغاضى عن الزلات ، حتى يقوم الدليل على أن شقائى قدر محتوم ، وشدة لا دافع لها ...

بنت أنات — فهل عفوت عنى ، أيها الرجل الشقى الحظ؟...

بينم — ومن أكون حتى أعفو عنك ! ... ما أنا الا رجل شقى الحظ كما تقولين ! ها أنتم تزجروننى بأحدّ ما يفوه به اللسان ،وقد وقفت كالكلب استمع لكم صاغرا ...

نبسشت — لم تأت الأميرة الى هنا لكى تؤلمك ! ... انما جاءت توليك عطفها وتحسن اليك ! ...

بينم — عسى الإله المنتقم الجبار أن يدون صنيعها فى كتاب الحسنات — (برهة صمت ، يتردد قليلا) — على أن ينتقم لى من رعمسيس أبيها ، فيصب عليه جام الأحزان ... انى لأشكو من امعانه فى العسف بى والإساءة الىّ ...

بنت أنات — (بشم) — أية اساءة تعنى أيها الشقى ؟ ...

بينم — (محتدا جدا) — أولادى السبعة الذين ساقهم الى ميدان القتال ... لقد مات منهم ثلاثة بالجوع والعطش فى أعمال ايصال النيل بالبحر الأحمر ، وقتل ثلاثة فى حرب الحبشة ، أما السابع ،

فيقاتل الآن فى حرب الشمال ، وقلبى يحدثنى بأن لا منجاة له من براثن أولئك الأقوام — (أثناء ما تقدم كانت العجوز قد استيقظت ، لكنها لم تفه بكلمة ، بل كانت مشردة الفكر ، لا تعى ما تسمع ، الا أنها تنبه لدى ذكر أولادها) .

العجوز — (منتحبة) — أى أولادى !... أولادى الأعزاء !... أولادى السبعة !... أتقضون جميعا ، بلا شفقة ولا رحمة !... أكاد لا أصدق !... أكاد أجن !... كيف تهون على الحياة من بعدكم !... أما بلغت هذه الشيخوخة... أما أحنى الزمن ظهرى إلا لأواريكم التراب !... أما ربيتكم حتى أصبحتم شبابا ، إلا لتذهبوا طعمة للحرب اللعينة ، وتصبحوا فيها جثثا هامدة ، ولما تتح لى فرصة الوداع منكم !... من بعدكم يقول لى يا أمى ، من يعزينى فى مصابى ... فى شيخوختى المظلمة ... من يكون ناصرى ومعينى ! ... أواه ! ... أولادى !... أولادى !... أولادى ! — (تجهش بالبكاء) .

وردة — (بصوت متقطع ضعيف) — كفاك عويلا ، يا أماه ! ... ها أنذا أناديك أماه !... إن بكاءك يهيج حزنى ، ويقطع أوتار قلبى !... تشجعى فما لنا حيلة !... هى الحرب ، لعنتها الآلهة !... هى السبب فى مصائبنا المتوالية !... لكن لا ينبغى لنا أن نقطع الرجاء ، مادام ابنك السابع على قيد الحياة ...

العجوز — أللحرب أمان ، يا ابنتى العزيزة !... أواه !... كلما تصورت أننى حرمت أعز ما أملك فى الحياة بل كل ما أملك فى هذا العالم ... يخيل الى أننى — (ينتم يبكى بشدة دون أن يتكلم) .

وردة — (بابتسامة) — لقد رأيت والدى أمس ، فى طيبة ، قبل وقوع هذه الحادثة — (تشير الى نفسها) — لقد قبلنى وقال لى إنه عاد اليها بحصة من الغنائم ، ثم قال لى أيضا أنه سيقيم هنا ، فلا يعود الى ميدان القتال ...

العجوز — أحقا تقولين ، أيتها الابنة المحبوبة ... أحقا قابلت ولدى ؟ ... قولى إنك لا تهذين من أثر الحمى ، أو أنك ... (تحس بيدها جبين وردة حتى تتأكد أن ليس بها حمى) .

وردة — نعم ، يا أماه !... لقد قابلته ... لست أهذى ... ليست بى حمى... انظرى الى...(تتفرس العجوز فى وردة بلهفة وانذهاش) إنى فى تمام وعيى وإرادتى ياأماه ! ... ابحثى فى ثوبى ، تجدى حلقة ذهبية منوطة به ، أتحفنى بها والدى — (تبحث العجوز فى ثوب وردة حتى تجد الحلقة فتنتزعها منه) .

العجوز — حمدا لك أيتها الآلهة ، أن حفظت لى ولدا من الموت !... ها هى ذه الحلقة ياوردة ... فدعينى أقبلك ... كم أنا لك شاكرة !... لانك جئتنى بهذه البشرى !...

وردة — بل خذيها ياأماه ، واشترى بها قربانا للآلهة ، ونبيذا لجدى ، وكحلا لعينيك ... لقد أثر فيهما البكاء ، حتى غدوت أخاف عليهما من التلف — (بينم يفتح عينيه الى السماء مبتهلا شاكرا) .

بنت أنات — (متلطفة للغاية ، الى بينم) أرأيت اذن أيها الشيخ المسكين أن قدوم الأميرة عليك ، كان عنوان سعادة ، ومقدمة خير ... كنت يائسا من بقاء ولدك ، على قيد الحياة ، فجاءت

البشرى بوجوده قريبا منك ، وكنت قانطا من شفاء ابنته ، وهاهى ذه بعناية الآلهة مقبلة على الشفاء — (قبل أن تتم هذه الكلمات ، يكون بينم قد دنا منها حبوا ، وأمعن فيها النظر ، وعيناه مغرورقتان بالدموع... يقول العبارة التالية وهو جاث على ركبتيه متعلق بثوب بنت أنات) .

بينم — مولاتى ، الطيبة القلب ، تجاوزى عن خطيئتى ، كما تجاوزت عن ذنبك ...

بنت أنات — لقد تجاوزت يا بينم ، وأدعو الآلهة المقدسة أن تحسن اليك ، وتسبغ على روحك الطاهرة ، الطمأنينة والهناء ...

(أثناء هذا المنظر يسدل الستار)

الفصل الثانى

المنظر الأول

[يمثل المسرح ردهة فسيحة فى بيت سيتى ، وقد أعدّت فى الوسط مائدة كبرى ، صفت حولها كراسى خالية من الجالسين ، فى صدر المائدة عرش الوالى ، والى يساره كرسى الكاهن الأعظم هنا وهناك صور وتماثيل للآلهة وأرائك للجلوس] .

المشهد الأول

[بنطاؤر ، نبسشت]

[عند رفع الستار يكون بنطاؤر واقفا فى ناحية من المسرح ، وقد اتكأ بذراعه على أحد الأعمدة ، وهو مشرد الفكر ، حزين النفس] .

نبسشت — أخى بنطاؤر إنك لشديد الأسى ، مذ عدت من هيكل آمون ... ها قد مضت ثلاثة أيام ، وأنت غارق فى تأملاتك الحزينة ... لئن كان للحب كل هذا السلطان ، فمثلك جدير به أن يتجلد ريثما تنقشع السحابة التى شابت صفاء أيامه ! ...

بنطاؤر — أجل ، أيها العزيز ، لقد برح بى الجوى حتى أولانى السقم ... ما كنت أحسب انى أرضخ لحكمه بمثل ما رضخت من السرعة ... مذ جاءت الأميرة هذا البيت فى موكبها الحافل ، فرأيت

قيد أنملة منى ، بعينى و بصيرتى ، الجمال الذى طالما هويت ، أحسست شعورا لا يدركه الوصف يتدفق فى داخل نفسى ... لقد صور لى ذلك اليوم ، وهى تتكلم بلسانها الطلق المحتدم ، وصوتها الذى ينفذ رنينه الصافى الى أعماق الفؤاد ، إنها إنسان من نار حملنى على ذراعين مشتعلتين ، وأخذ يجوب بى أنحاء بعيدة عن هذا العالم.. لكن نار ذلك الإنسان السحرى لم تكن محرقة ، لأنها امتزجت بماء عينيه ، الذى أنبت فى موضع الحروق من قلبى ، عاطفة جوهرها الحب ، وغايتها الحكمة السامية ... عاطفة مجنحة ، نبتت فى القلب ، لتطير به الى السماء ... أو أنها وحى الآلهة ، الهابط علىّ من لدنها ، نزل الى الأرض متجسدا ، يسمعنى صدى الهواجس التى كانت تجيش فى صدرى ، و يأمرنى أن آذن الوقت بأن أنفض عن نفسى غبار الكذب والرياء ، وأن أبدو أمام الكهنة والناس على حقيقة ما أومن به ...

نبسشت — صدقت ياعزيزى بنطاؤر ... إنى فى الحقيقة لأجلّ فعلك مع بنت أنات ، و إذا كان تصرفك لم يسلم من الضعف الذى انقدت له بدافع حبك للأميرة ، ففى شرف نفسك وسمو عاطفتك ما يعظمك فى نظرى ...

بنطاؤر — وانك لمقلدى فيما ذهبت اليه ، ياصديقى نبسشت... ونحن بشر ، لا نستطيع بعض الأحيان ، أن نغالب العاطفة ، وللعاطفة أحيانا تيار شديد الاندفاع ، لكننا نمتاز عن باقى الناس ، بأننا إذ ننقاد للعاطفة ، نسمو بها فوق شهواتنا ، ونلبسها ثوبا ناصع البياض ، لا تشوبه شائبة الرجس ... لقد أحببت بنت

أنات ، وأنت احببت وردة ... لكن أحدنا لم يجعل رائده فى حبه ، نفعه ولذته ... انما نحب لمن أحببنا ، لا لأنفسنا ، وانا لنضحى من أجلهم ، اذا دعا داعى التضحية حتى هذا الحب نفسه ...

نبسشت — إنك لتكلمنى بلهجة العارف بخفايا نفسى ... إنى لتساورنى فى الحقيقة منذ أيام ، فكرة هذه التضحية ، تضحية حبى ، على الرغم مما ينتابنى من جراء ذلك من ألم ، أخشى ألا أستطيع مقاومته ... لكننى ، مع ذلك ، قد جعلت لهذه التضحية ثمنا ...

بنطاؤر — لكن فيم التضحية ، وما ثمنها ؟ ...

نبسشت — راميرى ، ابن رعمسيس ...

بنطاؤر — يحبها ؟ ...

نبسشت — يلوح لى ذلك ، وهو فيما أرى أجدر بها منى ... إنه أوفر منى شبابا ، وإن كنت أوفر علما ، و ...

بنطاؤر — لكن كيف أتصل بها ؟ ...

نبسشت — لقد عرفها إبان ثورة الطلبة ، على الرئيس آمينى ، بعد أن أصدر أمره ، على إثر اعترافه له ، بما كان منك مع بنت أنات فى تلك الليلة بنقلك الى هيكل آمون ، بدلا من الشيخ رونى المريض — (ضاحكا فى تهكم) — عقابا لك ، ونكاية بك ... لقد كنت عند وردة ، أحد تلك الأيام ، واذا مظاهرة عنيفة قام بها الطلاب ... حسبوك هناك على ما ظهر لى ، فقد كانوا يصيحون ... ليحى بنطاؤر ! ليسقط دعاة الغش والنفاق ! ...

بنطاؤر — (وقد أبدى اهتماما كبيرا) — وماذا أيضا ؟ ...

نبسشت — لقد صاحوا أيضا وعلى رأسهم راميرى... لا دنس على الأبرياء ... وردة طاهرة لا دنس بها ... ثم اندفع الطلاب جميعا الى وجار المحنط ... ولولا شيخوخته التى أقعدته ، لرفعوه على أكتافهم لقد بالغوا فى تبجيله ، والعطف عليه ...

بنطاؤر — (وقد زاد اهتمامه وبدا عليه القلق) — لكننى لم أصرح للطلبة بشىء مما دار بينى وبين آمينى ...

نبسشت — عرف راميرى كل شىء من أخته الأميرة ... وقد أبلغه بلا ريب الى زملائه الطلبة ... لقد نال راميرى جزاءه إذ طرده آمينى من المعبد ...

بنطاؤر — حمدا لله على كل حال أن وقف الخطب عند هذا الحد ... أعترف لك يا صديقى نبسشت ، أن للأمير راميرى ذكاء خارقا طالما أعجبت به إذ كنت ألقى دروسى على الطلبة... انه لشبيه أخته ، وان نبوغه لجدير بابن رمسيس ...

نبسشت — (منبسطا) — ترى اذن أن عودتك الى مكانتك فى بيت سيتى ، يرجع الفضل فيها الى راميرى ...

بنطاؤر — (وقد أبدى شكا ظاهرا) — ربما ... لست على يقين من ذلك — (مستدركا) — كيف أحب راميرى وردة ؟ ...

نبسشت — منذ ذلك اليوم ، أخذ يتردد عليها .. كان يختلف الى بيتها كل يوم للسؤال عنها ... كان يقدمها ما يلزمها لتعيش ، وكان يطيل المكث عندها ... وكانت تسبقه الى دارها باقات الزهور والهدايا ...

بنطاؤر — لكن ، أيقره أبوه الملك على مثل هذا الزواج؟ ...

نبسشت — لا إخال ذلك ، لكننى لا أشك فى صدق نية الأمير على كل حال ... انى مثلك أجله كثيرا ...

بنطاؤر — لكن ، أنت ... هل تستطيع نسيانها ؟ ...

نبسشت — (بشك لا يخلو من الألم) — سوف أحاول ذلك ، يا صديق العزيز ... مع كل ، فأنا لم أتمادى فى حبى حتى مفاتحتها به ، وفى هذا بعض العزاء لى ... ثم ان لى فى أبحاثى الطبية — (بحزن) — ما قد يشغلنى عنها ...

بنطاؤر — حسنا تفعل ... ثم ... بهذه المناسبة — (ضاحكا كأنه يحاول أن يغير مجرى الحديث لكى ينسيه حزنه) — أين أنت الآن من بحوث فى القلب ؟ ...

نبسشت — ما زلت دائبا على العمل ، حتى أوفق الى نتيجة... (بصوت خافت) لهذا آليت على نفسى أن أشرّح قلبا بشريا ...

بنطاؤر — لكن ، أنّى لك ذلك ، والتشريح محرّم ... انك لتتفنن فى التخفى لكى تصل الى بغيتك مع الحيوانات التى تصيدها من هنا وهناك ، فكيف العمل مع بنى الانسان ؟ ...

نبسشت — (بصوت خافت) — سوف أطلب من بيتم أن يوافيني بهذا القلب ... هذا كل الثمن الذى أبتغيه من تضحيتى ...

بنطاؤر — (مرتاعا ومتراجعا) — كيف! ... أو تطلب من جدّ وردة هذا الطلب ؟ ...

نبسشت — لست أنانيا على كل حال فيما أبتغى ... ما قصدى الا توفير السعادة للانسانية جمعاء ...

بنطاؤر — لكنك لن تحقق بذلك سعادة وردة ... وردة ، التى تحبها ... انها شديدة التعلق بجدّها على ما تقول لى ... أفتحرمها أعز الناس اليها ... أو نسيت أو تناسيت أن من شق جثة ميت وانتزع قلبها ، عوقب على جريمته بالإعدام ... لا ! لا ! ... لا يا نبسشت ، لست أقرك على ارتكاب هذه الجريمة ...

نبسشت — هدئ من روعك ، يا صديق ، فلسوف أتخذ جميع الاحتياطات ، لكيلا يصل الى علم الكهنة ، خبر سرقة القلب سيظل بيتم بعنايتى ، فى مأمن من غدرهم ... ثم إنه لن يتأخر عن أداء هذه الخدمة ...

بنطاؤر — واذا تأخر ؟ ...

نبسشت — لأطلقن هذا الثوب ... أغادر هذا الهيكل ... وأدخل فى طائفة المشرحين الذين نلعنهم ...

بنطاؤر — (مرتاعا) — لاشك عندى فى انك تهذى ، ولا تقول الحقيقة ...

نبسشت — أعتقد ما بدالك ... فلن يثنيني شيء قط عن تنفيذ ما اعتزمته ...

بنطاؤر — يا لك من رجل فظيع ! ...

نبسشت — دعني إذن أتحمل وحدي مسئولية عملي ... لنعد اليك ... لقد شككت في أن عودتك الى بيت سيتي جاءت نتيجة ثورة الطلبة ... فماذا تكون إذن ؟ ...

بنطاؤر — لا غرو أن أشك في ذلك... فليس آميني بمن يخضع لهياج بعض الطلاب ... إن غاية ما كان يبغيه آميني هو إبعادي عن هذا البيت خشية أن تتفضح لي أسرار ما يدور في الخفاء ، من الدسائس والمؤامرات... لقد أمعن في التشدد مع بنت أنات ، فرفض تطهيرها إذ جاءت غداة ذلك اليوم ، كما وعدتها ، بحجة إصرارها على المخالفة ، مبالغة منه في إذلالها ، لا لسبب سوى أنها ابنة رعمسيس ؟ ... انه ليرمي من وراء ذلك الى غاية ألمسها ، وإن حسبها خافية علي ...

نبسشت — لكنه لم يرفض تطهيرها نهائيا ... لقد اقتصر على تأجيل رتبة التطهير ، حتى يستشير ، على حد قوله ، آلهة الغرب ...

بنطاؤر — لقد حرم الأميرة على كل حال ، بعمله هذا من شهود الاحتفال بعيد الوادي الذي يقام بعد أيام ... ترى ما الذي سيحدث في هذا الاحتفال ، في غياب رعمسيس وابنته ، والأمير راميري الذي لا أشك في أنه سوف يصيبه ما أصاب شقيقته؟ ... اني لألمح في الجو غبارا ، حالك السواد ، ينذر بسوء العاقبة ...

فهذا الوالى الخسيس الطبع ، لا يكف عن الرياء ، ومخادعة الشعب ، وإيهامه أنه يعمل لمصلحته ، متظاهرا تارة بمؤاساة ذوى القتلى والجرحى ، ومتصنعا تارة التبرم بالحرب ونكباتها التى حلت بالمصريين... لا ريب عندى فى أن التدابير قد اتخذت لإثارة الشعب على رعمسيس يوم الاحتفال بالعيد ، وتقديم آنى ، سليل الأسرة الملكية السابقة ، نكير من يتربع على عرش مصر ... لكن ، وحق الآلهة ، لن أمكنه من بلوغ مأربه ... ولو أدى ذلك إلى هلاك جميع الكهنة ...

نبششت — انى لأضم اليك صوتى ، يا بنطاؤر ، ولأعملن معك حتى النهاية ... فى الحق ، لقد تنبهت خلال غيبتك فى هيكل آمون الى كثرة تردد الوالى على بيت سيتى ، على غير عادته عند ما يكون رعمسيس فى مصر...وقد لاحظت اختلاءه ، تارة بآمينى وتارة ببعاكر ، الذى لاأشك فى أن له ضلعا كبيرا فى هذه الدسائس... لأنه يحقد على رعمسيس ومينا ، اللذين حرماه من معبودة قلبه نيفرت ... ولقد سمعت همسا يدور بينهم أحيانا ... لكننى أعترف بأننى لم أكترث مرة لتعرف ما يدور حوله ...

بنطاؤر — لأنك لا تهتم بغير أبحاثك ، التى ملكت عليك زمام عقلك ، فأنستك كل شىء ... حتى من تحب ... لكن ، لو كانت عينك ساهرة مثل عينى ، لرأيت ما يثير فى نفسك العجب ، والغيظ ... انظر حواليك ... هذه المائدة ! ... هذا العرش ! ...

نبششت — عرش آنى ؟ ...

بنطاؤر — نعم ، عرش آنى ! ... آنى الخائن !... آنى الذى ائتمنه رعمسيس على عرشه وشعبه ، فخان الأمانة ، وعبث بسذاجة شعب طاهر برىء ... ليكون وأعوانه ، طعمة للنار التى يشعلونها ، ووقودا لن يلبث أن يصير رمادا ... ليطمع فى الملك ، ما شاء له الطمع ، وما حدثته نفسه الجشعة الدنيئة . أن يتربع فى دست الأحكام ... لكن قوائم عرشه ، لن تقوى على حمل جريمته ، وتاج رأسه الشائك لن يلبث أن يدمى جبينه — (ينظر ناحية العرش ويصيح) — يا للعار !... ويحتفون به اليوم تثبيتا لتنفيذ الخيانة !...

نبسشت — يقولون إن اجتماعهم اليوم ليس الا للنظر فيما يتخذون من ترتيبات للاحتفال ...

بنطاؤر — ما العيد الا فرصة أحسنوا استغلالها لتبرير هذا الاجتماع — (فى هذه اللحظة يدخل أحد الكهنة) .

المشهد الثانى

[نبسشت ، بنطاؤر ، أحد الكهنة]

كاهن — (إلى بنطاؤر) — قد حضرت يا أبت نيفرت ، فى معية بعاكر ، تقدم القرابين الى الآلهة المقدسة ، كى ترعى زوجها الذى لحق برعمسيس الى بلاد الشام...ولقد سار بعاكر مع الرئيس آمينى الى غرفته الخاصة ، وأما نيفرت ، فبعد أن حيته التحية اللائقة ، التمست منه أن يسمح لها بمقابلتكم شخصيا ، وهى فى انتظار إذنكم بهذه المقابلة ...

بنطاؤر — قل لنيفرت إنى عاد اليها حالا — (يحنى الكاهن بشارة الطاعة ويخرج) .

نبسشت — تسمح لى اذن ، ياصديق العزيز ... لعل لدى نيفرت سرا تود أن تبوح لك به ...

بنطاؤر — حسنا . لا أرغب فى استبقائك أكثر من ذلك... لقد أطلت عليك الحديث ... ولديك من الشواغل ما لا أودّ حرمانك منه ...

نبسشت — سوف أذهب الى وردة للسؤال عنها ... الى اللقاء ياعزيزى بنطاؤر ...

بنطاؤر — الى الملتقى — (يخرج نبسشت ، برهة صمت قصيرة ، ثم بنطاؤر وحده مناجيا نفسه) — ترى فيما جاءت نيفرت ؟... هذه القرابين قد عادت حجة تتذرع بها لمقابلتى ... أى نبأ جديد تجيئنى به اليوم من قبل الأميرة ! — (برهة صمت قصيرة ثم يسارع إلى الخروج لمقابلة نيفرت ، لا يكاد بنطاؤر يتوارى حتى يدخل من الباب المقابل آمينى ومعه بعاكر) .

المشهد الثالث

[آمينى ، بعاكر]

آمينى — لقد نجحت إذن جميع مساعينا فيما أرى ... لقد أفلحتم الى حد كبير فى توجيه أفكار الشعب نحو الغاية التى نقصدها ...

بعاكر — انما الفضل فى نجاحنا لآرائكم الصائبة يا أبت .. ولقد صرح آنى أكثر من مرة أمامى بأنه اذا قدر له أن تتحقق آماله فيستوى على عرش آبائه ، بعد أن يسترده من الغاصب فلن ينسى جميلكم ما دام حيا ... وسيعرف كيف يكافئكم على خدماتكم...

آمينى — لقد أحسنتم فى الحقيقة استمالة الجماهير فى الوقت المناسب... فبينما المشاعر مضطربة والقلوب واجفة مرتجفة ترتعد لدى كل نبأ من أنباء الحرب ضربتم فى هذه القلوب على أوتارها الحساسة فلاقت نغمة الثورة تربة خصبة ولاقت أهواؤنا فى نفوس القوم صدى وترديدا ...

بعاكر — لاغرو أن يسأم الناس القتال وأن ينالهم منه الإعياء ... لقد ضجت البلاد لكثرة ما توالى عليها من المصائب والنكبات ... ولن تلبث اذا لم تضع الحرب أوزارها أن تمسى خرابا ... لسوف يضرب الجوع فيها بسهم وافر... لقد استنزفت معين الثورة فى البلاد حتى ان سواد الشعب قد انصرف بكليته عن أداء فروض الدين... هكذا قلت لى يا أبت حتى انكم تشكون هذا العام قلة القرابين ...

آمينى — نعم ، هذه هى الحقيقة التى لامراء فيها ... لقد أضحت الشام ميدانا لضحايا مصر وقد غطت أراضيها جثث أبنائها وأشلاؤهم ...

بعاكر — ويا لهول ما سيحل بها أيضا !... وما سينزل بها من ويلات صاعقة ... إن أخبار الشؤم لتترى فى كل يوم ناعية الى كل فرد قريبا أو حبيبا ، ناعية الى كل أسرة ربا لها أو عمادا ...

لقد غارت فى الأرض عبرات الأرامل واليتامى وامتلأ الجو نواحا وعويلا ... فأنبتت الأرض حزنا وعارا ... وأرسلت السماء دما صبيبا ونارا ... لقد شاهدت بالأمس بعينى رأسى اذ كنت عائدا من قصر الوالى بعد ان استطلعت آخر الانباء جموعا من النساء يحثين التراب على رءوسهن ، ويخمشن الوجوه بأظفارهن ، وكن يبكين بدموع سخينة ... ورأيت شيوخا حمل اليهم البريد أنباء الموت يمزون بأيديهم على لحاهم البيضاء ...

آمينى — (وقد ضرب بيده كتف بعاكر ، مازحا) — أى بعاكر . انى لأراك قد رق طبعك وسمت عاطفتك فما عهدتك متعطفا على أبناء وطنك مثلك اليوم ...

بعاكر — لقد أثار عطفى على أولئك البؤساء ما رأيت من تواضع آنى وحنوه عليهم ومواساته إياهم بنفسه ، حتى لقد نسيت أن كل هذا العمل كان من فضل وحيك وتدبيرك ...

آمينى — على انى أخشى أن تلازمك رقة الطبع إذا ما ألفيت نفسك فى حضرة رعمسيس ! ...

بعاكر — آه ! ... هذا ! ... كلا ! ... كلا ! ... إن جرائم رعمسيس منقوشة هنا ... فى قلبى ، فى صميم قلبى ... الممتلئ بالبغضاء والحقد عليه ... لقد اغتصب منى أغلى درة كنت أملكها ... لقد سلبنى راحتى وهنائى ...

آمينى — نيفرت الجميلة ...

بعاكر — (ساخرا) — بل الخائنة !... نيفرت التى أحبتنى وانقلبت على !... لقد كان حبها لى خديعة ووعودها هراء ونفاقا !

آميني — لقد كاد يتم لك الزواج بمن تهوى لولا أن قضى رعمسيس على آمالك ! ...

بعاكر — ولأنها أحبت مخنثا من أعوان الطاغية ! ... أما أنا فإن حبى لها وحشى غليظ ، ولست أليق بما طبعت عليه من رقة ونعومة ... هكذا يقول عنى رعمسيس ويجهر بعدم ارتياحه منى ويتظاهر بالإعراض عنى ! ... مرحى أيها المتجبر ! ... انك لتحسن وصف من عملوا معك بإخلاص ! ... لقد نسى افضالى عليه فى حروبه العديدة ... لقد نسى ما أدى له قبلى أبى آسا من جليل الخدمات ... لكن وحق الآلهة ! وروح أبى ! لأستردن اليوم بيد ما أعطيتك بيدى الأخرى ! ... لأسحقن من كبريائك وأضعن من أنفك الشامخ ! ... ليقبلن الأرض جبينك العالى ... انك لن تسلم من يدى ، لتكونن الحرب طاحنة بيننا ! ...

آميني — ترى لو كنت اليوم مكان مينا أكانت ترد إلينا كما وردت أنباء تقهقر الجيش ؟ ... وأنت الذى عركت الحروب وتلقيت فنها بالوراثة ! ...

بعاكر — مينا !... دعنى أضحك !... دعنى أضحك ياأبت !... فلقد طالما أوغر رعمسيس صدرى وأنزل بقلبى الألم والحسرة !... مينا ! ... دعنى أضحك فان شدقى لم ينفرجا لابتسامة منذ أمد طويل !... مينا !... (يضحك مقهقها كالمجنون)... هذا الاسم

العظيم على ضآلة من تسمى به ليدوى فى أذنى كطبل فارغ علق فى جوف صحراء ... لكن اذن رعمسيس التى لم تدق ولم تتهدب لتطرب لسماع العجيج والقعقعة الجوفاء ! ... سيعلم أولئك الذين يساورهم باطل الأمانى وتلعب بنفوسهم الهواجس ... سيعلم أولئك الذين جمحوا فى تيار العمى فحسبوا النور ظلاما والنهار ليلا ان بعد الضلال هدى وأن العاصفة تعقبها ركدة يستريح العقل فيها ...

آمينى — نعم ... سوف يعلم خصومنا كل ذلك لكن لاحاجة بك الآن الى كل هذا الاحتدام، هدئ من ثائرك فقد دنا وقت الاجتماع وعما قليل يحضر الوالى — (يسمع فى هذه اللحظة وقع أقدام) — بل لعله حضر ... فانى أسمع وقع أقدام — (برهة صمت قصيرة ، ثم يدخل أحد الكهان)

المشهد الرابع

[آمينى ، بعاكر ، كاهن ثم بعاكر وحده]

الكاهن — (إلى آمينى) — الوالى آنى فى انتظاركم ياأبت ... وهو فى ردهة الاستقبال ...

آمينى — (مربتا على كتف بعاكر) — لا تطلق العنان لحدتك يابنى ... تريث فما تجدى الآن ثورتك نفعا ... إنما العبرة بالعمل...

بعاكر — سأعمل حتى النهاية — (فى هذه الأثناء يكون آمينى قد خرج ، عندما يرى بعاكر نفسه وحيدا يخرج من نطاقه سهما عليه نقوش سحرية وزجاجة ماء سحرى صغيرة ، يطيل النظر إليهما ثم يناجى نفسه) — أيتها النقوش الرهيبة

التى حفرها المعوذون ... لاتخيبى رجائى ... أيها السهم الماضى الذى صنعتك أيدى السحرة الأشرار لسوف أغمدك فى أحشاء غريمى فلا تعد الىّ الا مخضبا بدمه ... وأنت أيها الماء السحرى المتفجر من عيون الأبالسة كن عونى وملاذى ... أعد الىّ قلب من خدعتنى ... تيمها بحبى ... عذبها فى غرامى ، بى شغف أن أذيقها ما أذاقتنى من مرارة ... بى ظمأ أن أراها فى حى عبدة ذليلة — (بعد أن ينتهى من هذه المناجاة يعيد السهم والقنينة الى مكانهما ثم ينزع من سلسلة ذهبية منوطة بنطاقه قطعة من حجر اللازورد يتأمل فيه) — أى حجر اللازورد ، يا كاشف السر يا محدثى عن الغيب ... أينفع فى نيفرت هذا الماء فتعود الىّ صاغرة نادمة ؟... أم تصر على معاندتى وصدى — (يقذف بالحجر الى الأرض ثم يعود الى التقاطه ايرى على أى وجه كان سقوطه على الأرض) — بورك فيك أيتها القوة السماوية... لقد واجهت نقوشك السماء بحفاوة وفق أهوائى... بشرى لقلبى... سأنال امنيتى سأحقق رغباتى ! — (يعيد الحجر الى مكانه بعد أن يلثمه ، فى هذه اللحظة تبدو نيفرت عند مدخل الزدهة ، يتراجع بعاكر كمن بوغت وهو يأتى أمرا محرما ، يحاول أن يتمالك نفسه) .

المشهد الخامس

[بعاكر ، نيفرت]

نيفرت — (وقد لاحظت اضطراب بعاكر) — أراك مضطربا يابعاكر !... هل ألم بك سوء ... أم ان مرآى قد أزعج اطمئنانك ؟...

بعاكر — بل أثار فى نفسى من جديد لاعج الشوق والألم ياسيدتى ... ان العذاب الذى تسومينانى منذ عام كاد يفتك بقلبى فلا الدمع أغنى ولا الصبر ولا اللين ولا الشدة ... أسير هوى مأعرف الراحة ، وقلب المحب ما أصاب الهناء ...

نيفرت — دائما النغمة نفسها ! ... الحزن ! ... الألم ! ... البكاء ! ... الى متى هذا الشجن ؟

بعاكر — حتى تتيح لى الآلهة المسئولة عن عذابى أن أحقق أمنيتى أو أفارق حياتى ! ...

نيفرت — إن إصرارك لمخيف يا بعاكر فكأنما تتحدى القدر ... وكأنما تجدف على الآلهة ! ...

بعاكر — (صارخا) — وماذا يعنينى من آلهة لاتعرف العدل ولا الرحمة ! ... لقد شقيت بتعبدى لها ... ونالنى من جمودها روع وفزع ! ...

نيفرت — رفقا بنفسك أخى ... أفليس لك فى الحياة مطمع سواى ؟ ...

بعاكر — لقد ملكت على زمام عقلى وقلبى فلا القلب قادر على أن يسلو ، ولا النسيان واجد الى العقل سبيلا ...

نيفرت — لأنك تطيل النظر متعمدا خلال السحب القاتمة وتتقاد مختارا وراء طيور الشؤم وهى تحلق فى الفضاء ... لقد وهبت قلبى لغيرك ... ليس فى وسع انسان أن يخفى ذلك ...

ولست بمنكرة أنى قد أثرت فى نفسك كامن الغيرة ودفين الغضب... لكن هذا ماقدر... وانتهى ... أفتنبش فى جثة الماضى الذى انقضى... أم تحاول أن تبدل من دم قلبى الصافى دما مسموما أوهيبا لاذعا ! ...

بعاكر — معاذ الآلهة أن أكون قصدت بك السوء ... لقد أحببتك بقلب لا بصر له ... وعاطفة مغلوبة لم تدرك عواقب الأمور ...

نيفرت — إننى لأرثى لحالك ... وأحزن لشأنك ... ليت فى يدى حيلة ... ماتأخرت أن أخفف بعض آلامك ...

بعاكر — (باندفاع) — نيفرت !... ماذا تقولين ! ... أنت ! ... ترثين لحالى ! ... اذن ! ... أتحبيننى اذن ياسيدتى ؟ ...

نيفرت — (بلهجة قاطعة) — كلا ! — (يتراجع بعاكر كالمصعوق) — لست أحبك ! ...

بعاكر — (صارخا) — أيتها الصواعق ! ...

نيفرت — حسبك هذا ... وضع نصب عينيك انى لن أخون عهد الوفاء لزوجى مادمت حية ! ...

بعاكر — لقد خنت قبل اليوم عهد الوفاء لحبى ! ...

نيفرت — لم يكن حبا قط ما بيننا !... كلام مودة وقرابة... لا كلام غرام ... لقد اتفقت أمى وخالتى على زواجنا... فاستسلمت ولم أتكلم ... احترمت ارادتهما السامية ... وانى لمثلى ألا تطيع الارادة الوالدية ! ...لو فعلت ذلك ما استحققت أن أكون زوجة لمينا ! ...

بعاكر — (وقد بدا عليه الامتعاض الشديد) — أيتها الصواعق ! ...

نيفرت — حسبت صمتي حباء وقد كان رضى بما قدر وكان ... ثم قضت ارادة فوق ارادة الجميع أن أكون لمن كنت فى سرى أهوى وأن أنال حظا لا أكتمك انى به كنت أعلل نفسى ... على أنك لو كنت مكان مينا ... فتزوجتك رغم حبى له ... لقضيت فى سبيل الوفاء لك على ذلك الحب ... وما فكرت فى خيانتك ! ...

بعاكر — ليت مينا كان يحبك مثل ما تحبينه ! ... لأنت أهل لأكثر من الحب ! ... لأنت تستحقين العبادة ! ...

نيفرت — (مستاءة) — وأى منكر أتاه مينا فتستبيح لنفسك أن تطعن فى حبه ووفائه ؟ ... أراك قد امتقع لونك واصفرت شفتاك وجبينك . للكذب لون تنفر منه عينى ... وللنميمة صوت تنبو عنه أذنى ...

بعاكر — لست أكذب يا سيدتى ... وما قلت غير ما وقعت عليه عينى ... لقد قرأت رسالة أخيك التى بعث بها الى والدتك وفيها شرح لما تمرغ فيه من رذيلة وما انغمس فيه من دعارة ...

نيفرت — لقد افترى أخى ومان ! ... وقد أراد بذر الشقاق بينى وزوجى لغاية فى نفسه ... لا أصدق أن مينا يخون عهدى ولو خان "أزوريس" عهد "ايزيس" ، ولو حفت به مائة من الحسان تستميله كل منهن بسحرها الفاتن ! ...

بعاكر — الأدلة قائمة على صدق دعواه ! ...

نيفرت — دعوى من ؟ ...

بعاكر — أخيك !...

نيفرت — أنه متشرد مقامر ... يحسن تلفيق البراهين ... لقد قامر على جثة أبيه وشرف أسرته بعد أن أفقد أمى ثروة زوجى التى وكل بها اليها فأورثنا العار والفقر ... ما أراه الا مستمدا منك اليوم المعونه ليمدك بالأكاذيب التى توافق أهواءك ... أى دليل هذا الذى تعتد به ؟ ...

بعاكر — اسم العشيقة ... ووصفها ... ومكانتها ...

نفرت — ومن تكون هذه العشيقة وما اسمها ؟ ...

بعاكر — سبية من بنات الخيتاس جميلة ... براكسيلا ... ابنة ملك الدنائم ...

نيفرت — صه اذن أيها الواشى الدنىء ... لقد طالما أصغيت لنزهاتك حتى عيل منك صبرى ... لتعلم اذن أن مينا لو خان عهدى فلن يسوغ لى ذلك التفريط فى عفافى ... ان مس السماء لأهون عندى من النزول الى هذا الدرك — (بعاكر وقد أخذته الحدة يهم أن يتكلم فتمنعه نيفرت) — لا ! ... لاتسمعنى صوتك ! ... لا تدافع عن نفسك ! ... كفى ما سببت لى من ألم ! ...

بعاكر — (مهاجما) — بل ستسمعيني... وستخضعين لأمري... ولو أدّى بي ذلك الى العنف — (عند ما يقول ذلك يكون قد اقترب منها قليلا) .

نيفرت — لن أخضع لأمرك ولو علقت في عنق حجر الرحى ! ...

بعاكر — (صارخا) — نيفرت ! ... انك لتهيجين في نفسي الغضب ... فلن تعاود قلبي شفقة ولا رحمة ! ... لأجعلن رأسك تحت قدميك — (يتقدم نحوها يريد أن يمسك بها) .

نيفرت — (صارخة) — اليك عني ! ... ابتعد ! ... اليك عني أيها الوحش ! ... انك لترعبني ! — (في هذه الأثناء يقترب منها خطوة أخرى) — اليك عني ! ... أو أنادي ! — (في هذه اللحظة يكون قد تملك من عنقها فتصرخ نيفرت مستغيثة) — إليّ ! ... إليّ ! ... المعونة ! ... المعونة ! ...

بعاكر — (بصوت أجش) — كفى نباحا ! ... لا أريد هنا ! ... في هذا المكان ! ... أن يسمع لك أحد صياحا ! ... قد عاد صوتك كريها في أذني ... فلئن خرجت من فمك نبرة واحدة تنبئ بفعلي ... لأحطمن هذه الحنجرة الدقيقة تحت أصابعي ... لأخمدن أنفاسك ! ... كما ستخمد أنفاس مينا ... مينا الذي أكرهه ... لأوجهن اليه في الحرب سهاما كتب عليها الموت والهلاك — (في هذه اللحظة يتنبه بعاكر إلى أن نيفرت قد سكتت ، يخلي عنها . تمايل وهي واقفة ولا تلبث أن تسقط على الأرض ككتلة صماء) — ماتت ! ... أيتها الآلهة ! — (يتقدم اليها ليفحصها مرة ثم لا يلبث أن يطمئن قليلا) — كلا ! ... لم

تمت ! ... إنها تتنفس ! ... لقد غشى عليها !... أيتها الآلهة ! — (يضيء وجهه كمن خطر له خاطر بغتة) — أجل ! ... لقد نسيت ! ... الماء ! ... الماء السحرى ! — (يخرج من نطاقه زجاجة الماء السحرى ويسقى منها نيفرت التى بعد أن تشرب يعاودها التنبه شيئا فشيئا) — معبودتى نيفرت !... صفحا ومعذرة ... لقد أسأت اليك ! ...

نيفرت — ماذا صنعت بى أيها الخائن ؟ ...

بعاكر — (مترفقا جدا) — لقد قسوت على حتى تولانى من صدك الجنون ... مرى بماذا أكفر عن ذنبى ! ...

نيفرت — (يائسة) — إن مثلك لا يحجم عن ارتكاب الجريمة ولو تناولته عوامل الندم — (برهة صمت طويلة تبدو فيها حيرة نيفرت وبعاكر ثم تنهض نيفرت وتمشى متثاقلة نحو أحد أبواب المسرح) .

بعاكر — إلى أين تذهبين ... أتسيرين وحدك ؟ ... أخاف عليك وأنت بحالة المرض ...

نيفرت — (وقد تقدم اليها بعاكر يريد أن يسندها فتصده بحركة خفيفة) — بل دعنى ...أسير وحدى... أروح ...عن نفسى...أستنشق الهواء — (عند ما تقول كلمتها الأخيرة تكون قد خنقتها العبرات) .

المشهد السادس

[بعاكر وجنده ، ثم رئيس الكهنة ، والوالى ، القائد العام لجيش الحبشة ، فريق من كبار الضباط ، كهنة ، خدم ، حاشية]

[بعد أن تخرج نيفرت يمشى بعاكر جيئة وإيابا وهو فى أقصى حالات الاضطراب النفسى من جراء ما حدث ، رئيس الكهنة والوالى يتصدران الجميع]

الوالى — سلام يا بعاكر ...

بعاكر — (منصتا الهدوء) — التحيـــة والاحترام لوالى مصر العظيم...تحفظك الآلهة من كل سوء ... .

الوالى — أشكر عاطفتك وأقدّر إخلاصك ... آمل أن تكون اتخذت عدتك لتنفيذ الخطة التى اعتزمناها — (أثناء ما تقدم يكون الوالى ورئيس الكهنة قد أخذا مكانهما من المائدة ، يعقبهما الباقون ماعدا بعاكر ، الذى يظل واقفا لأنه لم ينته من حديثه مع الوالى) .

بعاكر — الخطة واضحة يا مولاى ... انى لمتخذ عدتى للرحيل الى الشام ...

الوالى — ومتى تعوّل على السفر ؟ ...

بعاكر — لن أتمكن على كل حال من مغادرة أرض مصر قبل الاحتفال بالعيد ... سيكون هذا اليوم فى داخل البلاد حاسما بيننا و بين الطاغية ...

الوالى — حمية منك تروقنى ... لأنت جدير بما عهدت اليك من تحقيق الأمانى ! ...

بعاكر — انى دائما طوع خدمتكم يا مولاى... ان مصر العزيزة التى تربع على عرشها ملك متغطرس مثل رعمسيس ليحزننى أن تطأطئ الرأس صاغرة لأحكامه الجائرة ... انما يسعى رعمسيس بأنانية لا حد لها وراء مجده الذاتى ووراء فخاره ولا يبالى بأن تفقد مصر فى حرب لا طائل وراءها أعز أبنائها ورجالها ... لكنى سأضع يا مولاى للوغى حدا ... وغدا توافيك أنبائى وأخبارى ...

الوالى — بورك فيك ابنا بارا بمصر أمك ! ... لقد كان هذا عهدى ... وهذا منك منتهى آمالى ! ...

آمينى — (متملقا) — لكن اجلس أولا يا بعاكر... تعال هنا ، الى جانبى ، حيث طالما جلس أبوك الغيور قبلك ! ...

بعاكر — (يتقدم للجلوس الى يسار آمينى فى المكان المحفوظ له) — شكرا يا ابت على عطفك السامى ... ان ذكرى أبى ... تهيج أشجانى ! ...

آمينى — لقد كان فخر البلاد وزعيم نهضتها ...

كاهن (١) — لقد كان يخشاه رعمسيس ...

الوالى — (متلفا) — كان أسدا بين الأسود مهيبا ...

القائد — فى الحرب لم تكن تطيش سهامه ...

كاهن (٢) — وفى السلم كان للكهنة أخا وزميلا ! ...

كاهن (٣) — بل كان كذلك فى السلم والحرب على السواء ...

كاهن (٢) — قد أنجب الليث شبلا لن يلبث أن يقهر الأسود ...

آمينى — (الى الخدم) — اذن أعدوا لنا الشراب ! ... نبيذا معتقا من كروم بيلوس ! ...

الوالى — (يقف وفى يده قدح النبيذ) — أشرب نخبكم جميعا ! ... أشرب نخب انتصارك يا بعاكر ! — (يشربون) .

بعاكر — (وقد نهض) — سأعود اليكم كما تريدون ... لن تفلت الفريسة من بين براثن الأسد ! — (يرفع قدح النبيذ) — فى نخب الوالى العظيم ! ... والكاهن الأعظم ! ... اشرب نخبكم جميعا ! ...

كاهن (٤) — لكنا نريد معرفة الخطة فى الشام ...

بعاكر — قد سبق أن شرحت لكم كل شىء . لكنى سأعيد على وجه موجز مجمل الخطة التى سأنفذها ، بصفتى قائد الطليعة لجيش رعمسيس سأرسل اليه تقريرا على الوجه الذى سأبينه لكم ، تزحف فرقة رع جنوبا حتى تبلغ الى ما يلى بحيرة شباطوم كى تفجأ

جناح العدو وتنكل به وتسير فرقة سب المؤلفة من جنود الوجه البحرى فى القلب من ناحية آتام ويزحف الملك بمركباته وصفوة الأبطال من جنده فى الوادى الممتد الى نهر أورينت حتى يصل الى النهر فيعبره خوضا بجنوده ثم يبرحه ليستولى على قلعة قادش ... أما فرقة آمون فى الجناح الآخر فتسير مع الجنود الأحباش فى طريق ساذكر أنه مسلوك وهو ليس كذلك فى الحقيقة ... وتبقى فرقة فتاح على أهبة نجدة الجناح الأيسر وامداده عند الحاجة ... أما أنا فسأنطلق فى الوادى حيث أقود جيش الخيتاس وأهاجم جيش رعمسيس من حيث لا يدرى ...

آمينى — مرحى يا بعاكر ! ... الخطة مثلى ! ... فهل لك الآن فى قدح أخرى من النبيذ ! — (يسارع الخدم الى ملء الأقداح) .

بعاكر — شكرا جزيلا يا أبت ...

الكهنة — (يرفعون الأقداح) — لك النصر يا بعاكر ! ... لك الفوز ! ... لك المجد ! ...

بعاكر — (متصنعا التواضع) — بل المجد لآنى ! ...

الكهنة — المجد لآنى ! — (يشربون ، يجلس بعاكر) .

الوالى — (الى القائد) — وأنت أيها القائد الشهم للجيش المظفر ... قل لهم إنى أعتمد هنا على جيشك الذى عدت به منتصرا من الحبشة لمقاومة المستبد ! ...

القائد — بل لاسترداد عرشك الذى أنت به أولى ...

الوالى — نعم لاسترداد عرشى ... ما رعمسيس الا سليل أسرة أجنبية عن هـذه البلاد ... ان جده رعمسيس الأول ، سامى الأصل استوطن مصر بعد نزوح عرب الرعاة ... واستعان بالقوة والمـال على اسقاط العائلة المـالكة التى انتمى اليها ... واغتصاب الملك منها ... لكننى بمعونتكم أيهـا الآباء المقدسون . وبفضل اخلاص بعاكر وقائدى الظافر سوف استرد عرشى المفقود ... على انى لن أقصر فى اتخاذ الكاهن الأعظم مرشدا ونصيرا ...

آمينى — تالله انى لأراك أطيب منه غرسا وأكرم محتدا وأولى على كل حال بالاستواء على أريكة الملك . إنك لا ترضى بفعال رعمسيس الجائرة ! ... لقدأمر بحشد الزراع والصناع والفلاحين وتوجيههم الى محاصد الأرواح ... فعطل الزراعة والصناعة وأضحت البلاد مهددة بالجوع ... ثم جعـل دأبه إغلاق الهياكل وتعطيل الشعائر ...

آنى — لأنه يزعم أن دمه الملكى مستمد من دم إله الشمس ! فهو لذلك يعتبر نفسه فوق الكهنة ! ...

آمينى — لكن الدم الذى يجـرى فى عروقه مشوب بمختلف العناصر . أما دمك فملكى صريح ...

آنى — آمل على كل حال اذا أصبت النجاح أن أحقق أمانيكم ، فأترك لكم حرية الشعائر وأعيد اليكم ماسلبكم رعمسيس من حقوقكم ، وما أنتم له أهـل من نفوذ وجاه ... سأغدق على الهياكل أيضـا ما تستحقه من هبات ونعم ...

بعاكر — (وقد نهض) — تسمح لى يا أبت الآن بالاستئذان فقد أصاب نيفرت منذ هنيهة دوار و إعياء ... وأخشى أن يطول بها الانتظار ...

آمينى — لا أرى داعية على كل حال الى إطالة الحديث فقد تم بيننا الاتفاق على كل شىء... لم يبق إلا أن نقسم جميعا على تنفيذ خطتنا ...

بعاكر — نقسم على ذلك ! ...

الجميع — (وقد وقفوا ومدوا أيديهم بشارة القسم) — نقسم على ذلك ! ...

الوالى — بقى أيضا أن نشرب فى صحتك نخبا جديدا ! — (يسارع الخدم الى ملء الأقداح ، يشربون) .

الكهنة — لك النصر ! ... لك الصحة ! — (فى أثناء هذا الهتاف يكون الوالى قد برح مكانه فيرافقه آمينى و بعاكر و وراءهم الجميع . بعد خروجهم يظل المسرح خاليا برهة قصيرة .

المشهد السابع

[بنطاؤر — بنت أنات]

بنطاؤر — (الى بنت أنات التى لم تدخل بعد) — من هنا ؟ ... تعالى من هنا ... لقد خرج الجميع ...

بنت أنات — (مضطربة) — أمن خوف علينا هنا ؟ ...

بنطاؤر — لا خوف ... تعالى — (بنت أنات قد توسطت المسرح ، يقودها بنطاؤر نحو أريكة يجلسها عليها ثم يجلس بجانبها) — اجلسى هنا — (همسا) — ترين إذن ما يدور فى الخفاء من الدسائس ، ها قد أبصرت بعينيك ... وسمعت بأذنيك ...

بنت أنات — أمس اذ كنت عائدة من عند وردة لمحت الوالى متخفيا يتجاذب حديثا طويلا مع امرأة عجوز تدعى نيخت وهى ممن يمارسن السحر الأسود وتقطن مغارة قرب بيتها ... وكان الوقت ظلاما فاسترقت السمع كما فعلنا الآن هنا... دون أن يرانى... لهذا أوفدت اليك نيفرت تنبئك بقدومى ...

بنطاؤر — لقد خبرتنى نيفرت أن لديك خبرا غريبا ... لقد كانت توافينى بما تستطلعين فى الخارج من أخبار الفتن التى يثيرها الوالى ...

بنت أنات — قد كنت شاكة فى الحقيقة فى إمكان دخولى هنا اليوم بعد أن أصدر آمينى أمره بعدم قبولى فى أى هيكل ... عند ما كنت فى هيكل آمون كنت آتى اليك مطمئنة فقد كنت هناك رئيسا ... كل شىء يأتمر بأمرك ... وكان الكهنة يخشون سطوتك وبأسك ... هنا ... أخاف العيون ...

بنطاؤر — هدئى من روعك ... لا تجزعى ... أيتها الأميرة المحبوبة ...

بنت أنات — (مضطربة) — لكنى قلقة ... خائفة ... أليس من خطر أن يلمحنا آمينى ؟ ...

بنطاؤر — إنه لا يشك فى شيء مطلقا ... ثم إنك معى فلماذا ترتاعين ؟ ...

بلت أنات — لا أدرى ولكن ... قل بربك يا بنطاؤر ... ألم يفطن أميني أنك تعمدت عدم حضور الاجتماع ؟

بنطاؤر — وماذا إذا فطن ؟ ... هذا لعمرى غاية ما يتمنى ...

بلت أنات — ربما أثار غيابك فى نفسه الريبة ... ربما شك فى أن تكون ... معى ...

بنطاؤر — (ضاحكا) — آه ! ... أيتها الأميرة الجميلة ... انك لتبالغين فى إدخال الخوف الى نفسك... ثم انى اعتذرت عن غيابى بأننى مشغول باعداد خطاب العيد ...

بلت أنات — (محاولة أن تبدد عن نفسها الخوف) — حسنا ! — (تطرق الى الأرض طويلا كمن يفكر) .

بنطاؤر — (مترفقا) — ألا اطرحى هذا الخوف جانبا ...بددى هذا الوجل ... يا حبيبتى ... ارفعى رأسك — (ترفع بلت أنات رأسها ، بنطاؤر بإندفاع الفرح) — نعم ... هكذا ... دعينى أنظر اليك ، اجتل محياك الجميل... وهذه الطلعة الفتانة... منذ ثلاثة أسابيع لم أرك ... كم برح بى الشوق ! ... كم تاقت نفسى اليك ! ... أنت ... ! هنا ! ... أنت ! ... معى ! ... يا للآلهة ! ... يالسعادة ! ... يا للفرح ! ... اقتربى منى — (تقترب منه) — ضمى صدرك الى

يامنى القلب ... يا ريحانة الفؤاد ... دعينى أستنشق عبير أنفاسك — (يضمها الى صدره) — دعينى أملأ عينى من عينيك الساحرتين ... إن سهام لحاظك لتنفـذ الى قلبى ولئن صوّبتها الى الأرض لنبت فى مراميها الزنبق الطاهر ...

بنت أنات — ما أروع ما تصفنى به يا بنطاؤر — (بدلال) — لاريب أنك تبالغ ! ...

بنطاؤر — فيم أبالغ أيتها الأميرة والدليل واضح ! ... حسنك الرائع ... وذا الجبين الوادع الصافى... شعور غزيرة مرسلة شبيهة فى تموّجها بالبحر الساجى ... فاقت فى جمالها شعور الآلهة ...

بنت أنات — (بدلال) — وماذا أيضا ! ...

بنطاؤر — كم يودّى أن أداعب الشعور الناعمة ! ... كم يودى أن أطبع على الجبين قبلة ! ...

بنت أنات — (بنشوة) — بل اليـك شفتى ... اليك فمى ... ما أنت أيها الحبيب من أضنّ عليه بقبلاتى — (يقبلها قبلة طويلة).

بنطاؤر — أيتهـا الأميرة السماوية ! ... ... كم أنا مدين لك بالسعادة ! ...

بنت أنات — لا تقل لى أيتهـا الأميرة ... نادنى مـذ اليوم باسمى ...

بنطاؤر — (بنشوة) — بنت أنات ! ...

بنت أنات — (بنشوة) — بنت أنات ... نعم ...

بنطاؤر — ما أحلى هذا اللحن فى أذنى ! ... بنت أنات ! ... اسم كأغاريد البلابل ... كنغم الموسيقى السحرية الحنون قد هز قلبى بعذب المشاعر ... نشوة تولتنى لترديده خفقت بى فى سماء اللانهاية حيث تركت شعلة من روحى وشعلة من حياتى ...

بنت أنات — الى هذا الحد تحبنى ؟ ...

بنطاؤر — أكثر مما تتصورين ... أترين عبادتى للآلهة ! ... ما أنت غير إلهة فتحت لى على الأرض أبواب النعيم ! ... أحبك حبا علويا مقدسا جل عن وصفه شعرى وخيالى ... أحبك وأدعو الى بارئ النسمات أن يبث فى قلبى من روحه ليثبت على الطهر والنزاهة ... أتذكرين يوم جئتنى لأول مرة فى هيكل آمون ...

بنت أنات — أذكر نعم أننا كنا سواء فى التجرد عن المحسوسات ... وأننا كنا نحوم سويا فى مسابح المرئيات السماوية — (فى هذه اللحظة يسمع وقع أقدام خارج الكواليس ، تبدو بنت أنات كالمذعورة) — رب ! ...

بنطاؤر — مم ترتاعين ؟ ...

بنت أنات — أسمع وقع أقدام ... أخشى أن يباغتنا أحد على هذه الصورة — (ينصت بنطاؤر الى وقع الأقدام حتى يتلاشى ، بنت أنات لا تزال قلقة) .

بنطاؤر — لا أحد ... اطمئنى ...

بنت أنات — لا ... لست مطمئنة ... اسمع ... سأحدثك بسرعة عما شهدت أمس من الوالى ...

بنطاؤر — حقا لقد نسينا ...

بنت أنات — قلت لك إننى رأيته عند نيخت ... وسحرها مما تعاقب عليه القوانين ...

بنطاؤر — بالموت ... نعم ... إنه اذن فى قبضتنا ...

بنت أنات — بعاكر أيضا يختلف اليها ...

بنطاؤر — لا ريب من أجل نيفوت ... لكن ماذا قال الوالى لنيخت ...

بنت أنات — طلب اليها أن تنبئه بحوادث المستقبل وأسراره... وسألها ما إذا كان سعيه سيكلل بالنجاح ..

بنطاؤر — وماذا كان جوابها على ذلك ؟ ...

بنت أنات — لم تجبه بشىء قاطع ... لكنها أمرته أن يصوّب نظره نحو بازيين كانا مقيدين من مخلبيهما ... أحدهما قد سقط ريشه وهبطت جفون عينيه وقالت عنه المرأة اللعينة إنه يمثل رعمسيس ... وكان الثانى متحليا بريش زاهى اللون وكانت عيناه براقتين وقالت إنه يمثل آنى ... ثم قالت إنها لا تدرى أى البازيين سيموت قبل صاحبه ... على أنها تعاملهما على السواء لا تفرق بينهما ولا تحيز لأحدهما ... وتترك للقضاء حق الاختيار ...

بنطاؤر — لعله لم يسر بهذه النتيجة ! — (تطرق بنت أنات هنيهة اطراقة تفكير) .

بنطاؤر — أهذا كل ما سمعت يا ... بنت أنات ؟

بنت أنات — (متنهدة) — لقد قالت له أيضا إن لديها أسرارا كثيرة ... بعضها خاص ببعاكر وأبيه آسا ... وبعضها خاص بك أنت ...

بنطاؤر — (بدهشة) — بى أنا ؟ ...

بنت أنات — نعم أنت ! ... لكنها أصرت ألا تبوح بسر منها حتى يجيء الوقت الذى تراه هى مناسبا ... وحتى تكافأ على هذه الأسرار بعهد موثوق به بتحنيط جثتها ...

بنطاؤر — سوف نعرف اذن كل شيء ...

بنت أنات — وسوف أتعقب آنى وبعاكر فى الغدوات والروحات ... أو أبث عليهما عيونى وأرصادى — (فى هذه اللحظة يرى آمينى واقفا على باب الردهة الذى كان قد خرج منه ... عند ما تراه بنت أنات تصرخ مذعورة صرخة مكتومة لكنها تعود فتتماسك وتهم بأن تخرج من المسرح) — آه ! ...

المشهد الثامن

[آمينى ، بنطاور ، بنت أنات]

آمينى — (وقد ظل ثابتا فى مكانه ، متحكما) — لا تحاولى الهرب أيتها الأميرة الجليلة ... لقد سددت حولك كل المسالك ... لأن لى معك حسابا ...

بنت أنات — (مضطربة لكنها تحاول أن تضبط نفسها) — انى مصغية ... يا أبت ... تكلم ... أتوسل اليك ...

آمينى — إن نصوص الدين صريحة فى وجوب اغلاق بيوت الآلهة فى وجوه من لحق بهم الدنس ومستهم شوائب الرجس ... وقد أصدرت أمرا لا رجوع فيه بعدم قبولك فى أى معبد حتى تخلصى تماما مما أصابك ... فتغمس شعورك فى الزيوت التسعة ... ويطلق حولك البخور ... وتقام المراسيم والصلوات فى جميع الهياكل ...

بنت أنات — أعرف ذلك ! ...

آمينى — كيف تجاسرت اذن على انتهاك حرمة الأماكن المقدسة وتلويثها بقدميك وجسدك فيها ؟

بنت أنات — (بلهجة حادة) — إن لسانك اليوم لشديد الإقذاع — (بتهكم بالغ) — أيها الأب ... المبجل ...

آمينى — (بعظمة) — إن الآلهة قد أنابونى عنهم فى هذا البيت ولى حق حرمانك من دخوله ... لذا آمرك أن تبرحيه فورا مشيعة من هنا بالخزى والعار واللعنة ! ...

بنت أنات — (بزهو) — هأنذا ماضية فى سبيلى ... لكن لتعلم أيها الكاهن العظيم الاحترام أن الاساءات المتوالية التى جعلتها ديدنك والإهانات التى تكيلها لى بغير حساب فحرمتنى لا من دخول المعابد فحسب بل من حضور جميع الحفلات والأعياد التى كان يجب أن أمثل أسرتى الملكية فيها وعملت متعمدا على تخفيض شأنى فى نظر العام والخاص وأرجأت بلا مسوغ اقامة الصلوات من أجلى ... كل ذلك سوف تبدو لى أسبابه جلية واضحة ... سأعلم خفى نواياك و إن كنت شديد الحرص على الكتمان ...

آمينى — (غاضبا) — أيتها الأميرة ! لقد أمرتك بمغادرة هذا المكان ! ...

بنطاؤر — لن تبرح بنت أنات هذه الدار إلا بما هى أهل له من احترام و بما يليق بمركزها السامى من رعاية ! اسمح لى يا أبى أن أقف فى وجهك مدافعا عنها فليس من الحكمة ولا من الشيم الكرام أن تخرج مهينة من هنا ابنة صاحب العرش وأشرف أميرة فى البلاد ...

آمينى — لقد ظاهرت الآلهة بالعداوة ! ...

بنت أنات — لقد ظاهرتنى بالتعدى ! ...

آمينى — ليتبادر إلىّ أنه لم يزين لك هذه الغواية إلا حليف لك ... على مرأى منك ومسمع ... لهذا أنذرك أيتها الفتاة الضالة الجامحة بأن الآلهة لن تتجاوز عن ذنو بك حتى تلتمسى الصفح عنها وتقرى بها أمامى فى محفل حافل من الكهان والأعيان ... أو تحجى

إلى هيكل داتور الزمردية حكمها هو الفاصل بين الحق والباطل... وسرها وسيلة الطهر من خطاياك — (إلى بنطاؤر) — أما أنت أيها الكاهن الذى تماديت فى البهتان وخضعت لوساوس الشيطان فسنعاملك بالحرمان نهائيا من هذا المعبد ونبعدك إلى أقصى مكان ...

بنت أنات — (ملتفتة من حدتها) — اننى وحدى يا أبى الجانية على نفسى بدخولى وجار المدنسين ... لقد بذل لى هـذا الكاهن النصح فلم تنفعنى العظة وزجرنى فلم يعمل الزجر فى نفسى ... إنه لبرىء من كل ذنب ولا جريرة له فيما أتيت من المخالفة ! ...

آمينى — (بمرارة) — جميل دفاعك عنـه ! ... جميل دفاعه عنك ... أيتها الأميرة ! ... لقد ثملتما كلاكما بخمرة الحب فتآمرتما على الدين ! ... لقد تملك العشق نفسيكما فنسى الكاهن واجبـه وتمادت الأميرة فى خطاياها ! ...

بنطاؤر — لم أنس واجبى ... وما قصرت فى أداء ما فرض علىّ ... لقد فعلت حسب عقيدتى وضميرى ...

آمينى — لقـد أفسدت عقائد الطلاب فنزعت بفعلك شارة القدسية التى ليس لغير الكهنة أن يطمح إليها ... لقد نكثت العهود وأصررت على الباطل ... لقد ...

بنطاؤر — (وقـد ضاق ذرعا ، غاضبا) — كفى لوما وتعنيفا يا أبى ... إن تحسب صنيعى جهلا ... فخير لى الجموح فى غوايتى واللجاج فى ضلالتى ... نعمت ضلالة وافقت الحقيقـة وطابقت العدالة ...

آميني — (هائجا) — أية عدالة وأية حقيقة تعنى يا شق ؟

بنطاؤر — العدالة والحقيقة اللتين انطلق بهما لسانى ، إن الله لم يخص من الناس طائفة واحدة بأسراره ...

آميني — (هائجا جدا) — صه إذن ... أيها الملحد المخادع... إنى لأرى والأسف ملء قلبي ان القوانين قد عصف بها الجهل ولعبت بها الأهواء ...

بنطاؤر — (بنفس اللهجة) — جهل من يا أبى ؟ ... ما أنا إلا واحد ممن عرفوا الحقيقة فاهتدوا بضوئها ...

آميني — كفى ... إن طاعتك لى على كل حال فرض محتوم ... وقد خرجت عن هذه الطاعة وأهملت القيام بواجباتك المقدسة ... لهذا قد قررت عزلك من هذا الهيكل ... ومن مناصب التدريس السامية ... لا تطلعن عليك شمس الغد حتى تكون قد اتخذت عدتك للرحيل ! — (بينما يقول آميني ذلك يشير بيده نحو الباب إشارة الطرد وأثناء ذلك يسدل الستار) .

(ختام المنظر الأول)

المنظر الثانى

[يمثل المسرح وجار المحيط بنيم من الخارج وقد ركبت أمام باب المنزل ظلة من الخرق والأوتاد ووضعت أريكة خشبية بسيطة جلس عليها نبسشت ، فى الجهة المقابلة من المسرح مغارة الساحرة نيخت وقد علق على بابها طائران من الجوارح يغشاهما دخان كثيف منبعث من داخل المغارة — المنظر العام يمثل صحراء]

المشهد الأول

[نبسشت ، بربروس]

[عند رفع الستار يكون نبسشت جالسا و بربروس واقفا يحادثه]

بربروس — ترى اذن يا أبى أن ابنتى شفيت تماما ؟...

نبسشت — بلا ريب لقد شفيت تماما . لا يلزمها الآن سوى استنشاق الهواء الطلق والتخلص من جو هـذا الكوخ فانه ثقيل يحبس الأنفاس ...

بربروس — لقد وعدت الأميرة بأن تعدلها مكانا خيرا من هذا... بيتا تتوفر فيه أسباب الراحة وأشعة الشمس...يالها من أميرة شفوقة طيبة القلب ! ... كلما فكرت فيما تغدق علينا وعلى ابنتى من الهبات والنعم وما تخصها به من رعاية سامية أنسى كل الألم الذى سببه لى جرح وردة والذى كاد فى أول مرضها يزج بى فى لجة من اليأس

والحزن ! ... على أنى لا أنسى فضلك يا أبى فانما بعنايتك الفائقة وحنوك الزائد تماثلت ابنتى المحبوبة للشفاء ... معذرة يا أبى اذ قصرت فى مكافأتك على خدماتك الجليلة فلست أملك فى هذه الحياة الا قلبى ولسانى اللذين يلهجان كلما أبصرت وردتى وقد زهت وعاد اليها رونقها وجمالها بالشكر لك والثناء عليك ...

نبسشت — لا تشكرنى على صنيعى يا بنى المسكين ... لم أقم الا بواجب تفرضه علىّ الانسانية ووظيفتى فى الكهنوت ...

بربروس — إن عطفك على ابنتى قد فاق عطفى عليها حتى إن وردة نفسها تقول ذلك ...

نبسشت — إنها لفتاة رقيقة الطبع حلوة الشمائل ! — (يصمت نبسشت هنيهة ثم يعود إلى الحديث) — ألا قل لى يا ...

بربروس — بربروس...

نبسشت — بربروس ... نعم ... لقد تردّدت كثيرا فى أن أوجه اليك سؤالا ولكن ...

بربروس — سلنى يا أبى عما تريد فلن أتأخر عن إجابتك بما فى وسعى ...

نبسشت — هل أنت حقا والد وردة ؟ ...

بربروس — لاريب أنى والدها ... إن بعض الناس لا يسلم بذلك لأن وردة بيضاء البشرة بينما لونى شديد السمرة ... لكن وردة قد ورثت لونها الأبيض عن أمها ... لأن أمها أجنبية وليست بمصرية ... لقد ولدت الايكة البيضاء فى عش الغراب الأسود ...

نبسشت — وما وطن زوجتك ؟ ...

بربروس — لا علم لى بوطنها ...

نبسشت — (مندهشا) — كيف ؟ ... أو لم تسألها عن أصلها ووطنها عندما تزوجت بها ؟ ...

بربروس — سألتها ولكن ... من أين كان لهـا أن تجاوب ... إن شأنها غريب وتاريخها طويل ... على أننى أكتفى بأن أقول لك بأن والدة وردة كانت احدى سبايا الحرب التى نشبت بيننا وبين قبائل الشمال فى أوائل حكم رعمسيس ... لقد كانت رغم جمالها الفائق فاقدة النطق منهوكة القوى حتى ليخالها الرائى فى عداد الأموات ... وكانت تحمـل على ذراعيها طفلا يشبهها فى ضعفه ونحوله لم يلبث أن مات بعد أن اشتريتها بأيام ...

نبسشت — لكن كيف أقدمت على شرائها وهى فيما أرى لم تكن تصلح للعمل ؟ ...

بربروس — (منهدا) — لقد أخذتنى الشفقة عليها...ذات يوم أقيمت فى طيبة سوق كبرى للسبايا ... وقد نادى الدلال حتى عيل صبره ... طبعا لم يتقدم أحد لاقتناء شبح لا فائدة منـه ... فتناول الرجل سوطا وأهوى به على جسم المرأة المسكينة . فتلوت أعضاؤها من شدة الألم وضمت طفلها الى صـدرها وسرحت النظر حواليها دون أن تنبس بكلمة واحدة ... لقد كانت تلتمس لنفسها مغيثا من هذا البلاء ... لكن كان بلسانها بكم فكانت تتوسل بعينيها ...

وقد وقع نظرها آنئذ علىّ فاضطرب ضميرى واهتز قلبي ورأيت عينيها تلمعان على صورة استموت فؤادى فقلت للدلال صائحا إننى أرغب فى شراء هذه الخرساء ...

نبسشت — إنك لنبيل شريف العاطفة حقا يا بربروس ...

بربروس — (مستمرا) — لقد تهكم علىّ أصدقائى مع ذلك وسخروا منى ... وأمعن فىّ والدى النظر ليتبينا ان كان بى مرض أو مس من الجنون ... على أننى لم آبه لكل ذلك وعاملتها برفق وعناية كما يعامل والد رءوف ابنته البارة... ولم يمض عام على اقترانى بها حتى وضعت وردة ... وقد سميتها كذلك تلبية لطلبها اذ أشارت بيدها ساعة ولدتها الى زهر الورد فأدركت مرادها — (منهدا) — لكنها ماتت ... المسكينة ... ماتت عقب الوضع بيسير... فخلفت لى الحزن والأسى ...

نبسشت — لا تحزن يا بنى ... لا ريب عندى أن امرأتك الآن من الأبرار السعداء ... وقد اصطفاها "أوزريس" لينجو بها مما كانت تعانيه من عذاب ...

بربروس — (متحبا) — اذا قدّر لى أن أكون يوما فى عداد هؤلاء السعداء فلابد لى من السؤال عنها لاستجلاء محياها الجميل ...

نبسشت — أو لم يطلعك أحد على اسمها ؟ — (فى هذه اللحظة يكون قد دخل بينم الذى سمع نهاية الحديث) ...

بينم — لابد أن تلك المرأة كانت ابنة أحد الملوك أو الأعيان ... لقد وجدنا فى ثيابها خاتما ذهبيا مرصعا بالأحجار الكريمة

وعليه نقوش عجيبة ... ويبدو لى أنه من أندر التحف وأغلاها ... ولهذا حرصت عليه زوجتى حتى تسلمه الى وردة اذا ما بلغت سن الرشد ...

بربروس — اذا شئت يا أبى فانى آتيك الآن بهذا الخاتم ... فلعلك تستطيع حل رموزه ...

بينم — (الى بربروس) — بل اذهب انت الآن الى عملك يا بنى وسوف أحضره أنا بعد قليل ...

نبسشت — (الى بربروس) — لا داعية اذن لتعطيل عملك اذهب يا بربروس ولتحفظك عناية الآلهة ...

بربروس — الى اللقاء إذن أيها الأب الجليل — (الى والده) الى اللقاء يا أبى — (يخرج بربروس) .

المشهد الثانى

[نبسشت ، بينم]

نبسشت — علام عولت اذن يا بينم ... لعلك فكرت فى الأمر مليا ...

بينم — (بعد تردد) — لقد طلبت منى المحال يا أبى ...

نبسشت — المحال ! المحال ! ... وما سبب هذا المحال ! لقد قضيت عمرك تشق جثث الموتى ومن السهل عليك أثناء قيامك

بهذا العمل أن تنزع من الجثة قلبها وتضع بدلا منها فى آنية الاحشاء قلب كبش ... ماعليك الا أن تذبح كل يوم كبشا أدفع اليك ثمنه ... لا خوف عليك أن يراك أحد أو يشى بحقك ...

بينم — لست أجزع من هذا الخطر بل من سلب الموتى عضوا عليه قوام حياتهم فى الآخرة . لقد عشت فى الدنس والفاقة سنوات طويلة فبماذا أجاوب يوم الحساب ان سئلت ... وأنا الذى أطمح الى المقام فى زروق الشمس لأعوض ما فاتنى من ملاذ الحياة ... انك لتحرمنى بهذا العمل من سعادة الآخرة لتقضى لبانتك وتحقق أغراضك ! ...

نبسشت — إنك عاجز يا بينم ولك العذر فى هذه الثورة عن فهم المراد من طلبى لكن ثق بأنك اذا لبيته ستشاركنى فى عمل جزيل النفع للناس . أما ماتعترض به من خوفك على سلامة روحك فى الآخرة فكل ما أسألك أن توقنه انه لاخوف عليها وانه لا داعية لحزنك ... حسبك أن تعلم أننى من طائفة الكهان لتطمئن أن فى استطاعتى أن أقيلك من العثار ... على أنه اذا سألك قضاة الموت فى الآخرة وراموا محاسبتك على صنيعك فأجبهم بأننى أمرتك بذلك وأننى أخذت تبعة هذا العمل على نفسى — (يطرق بينم مفكرا) — لك على اذا قضيت لى حاجتى أن أضع الأحجبة على كتفك بعد وفاتك وأكتب برسمك منذ اليوم كتاب الخروج وأضعه تحت اللفائف والاكفان التى سيدرج فيها جسمك وبذا يتوافر فيك من القوة ماتصد به من الشياطين وتتساوى به مع الأمراء والعظماء ...

بلينم — (قلقا) — لكن ربما خلفت سرقتى لقلوب الموتى من موازينى وضاعفت ذنوبى ...

نبسشت — (بعد تفكير قليل) — إذا أخذ الخوف منك والحذر هـذا المأخذ فانى مزودك منذ الآن كتابة أعترف لك فيها بأنى أمرتك بالسرقة فاجعل هذه الكتابة فى قطعة من القماش وأوص بدفنها معك متى انقضى أجلك ... وإذا سألتك "تيشوتى" المنوط بها أمر الدفاع والمرافعة عن الروح أمام "أوزريس" وقضاة الموت فقدم اليها هذا الكتاب ومتى قرأته بصوتها الجهورى فان القضاة سيحكمون ببراءتك ...

بلينم — لكن من أين أعلم مضمون الكتاب وأنا أجهل القراءة والكتابة ؟ ...

نبسشت — أقسم لك بالآلهة التسعة أننى سأكتب فى الورقة ماذكرته لك وأننى أمرتك بنزع قلوب الموتى ... فاذا كان لهـذا العمل تبعة فستقع علىّ وحدى ...

بلينم — اذا كان الأمر كذلك ... حسنا ... هات الكتابة ...

نبسشت — غدا تكون الكتابة بين يديك — (يسمع صوت أقدام داخل بيت المحنط) — صه الآن ... اسمع وقع أقدام ... فلعلها وردة ... لا أحب أن تطلع على هذا الأمر ...

بلينم — (وقد نظر ناحية بيته) — نعم ... هذه وردة ...

نبسشت — هلم بنا إذن ...

بينم — إنى ذاهب الى دار التحنيط فهل ترافقنى اليها ...

نبسشت — نعم ... فانى أود أن تحدث قليلا فى هذا الموضوع — (يخرجان) .

المشهد الثالث

[وردة ، راميرى]

[لاتكاد وردة تظهر على المسرح بعد خروج نبسشت و بينم فى ثوبها الذى أهدتها إياه الأميرة حتى يرى راميرى قادما من الجهة المقابلة يحمل طاقة من الأزهار] .

وردة — (باندفاع الفرح) — هذا أنت أيها الأمير — (بدلال) — كأنما تواعدنا على اللقاء هنا ...

راميرى — (بنفس الاندفاع) — مصادفة غريبة ... وسعيدة حقا ... أليس كذلك ... حبيبتى وردة ! — (ينظر اليها بوله متفحصا) — كم أنت جميلة اليوم ! ... هذا الثوب البديع ! ... وجه مشرق ! ... عينان لامعتان ! ... ينبعث منهما نور الحياة ! ... قد تحسنت صحتك ! ... قد شفيت تماما ! ...

وردة — (بمرح) — نعم ... هكذا يقول الطبيب ...

راميرى — أو هذا ماتشعرين به أيضا ! ...

وردة — (بدلال) — طالما أنت هنا... فان السعادة لا تفارقنى... كذلك الصحة فانها تستمد من السعادة ...

راميرى — ما أهنأنى بك يا وردتى العزيزة ! — (يقدم لها باقة الورد) — اليك اذن هذه الهدية الصغيرة لكن قبل أن تمسها يدك الملساء المحبوبة سأرصع شعرك الجميل بهذه الوردة النضرة التى يشبه لونها لون شفتيك ! — (يرصع شعرها بوردة ينزعها من الباقة) — آه !... هاتان الشفتان !... كم أحبهما !... إن لونهما القانى الجميل ليبعث فى نفسى نشوة الخمر فدعينى أرتشف من هذه الكأس قبلة طويلة حارة أروى بها ما بى من ظمأ شديد اليك . قبلة تكون لى مدى الحياة ذكرى السعادة وعهد حب وثيق لا يدانيه حب فى الوجود ... هاتى يدك ... هذه اليد الصغيرة التى أعبدها ... ضعيها على قلبى عساها تحس ما به من خفقان مبعثه شوقى الدائم لاستجلاء محياك ... أقسم لك أن هاتور لو رأت هذا الجمال لتوارت خجلا منك ...

وردة — (بدلال) — ما أبرعك فى التملق والمداهنة ! ...

راميرى — (مستمرا) — فهلا تسمحين لى بهذه القبلة يا وردة، قبلة واحدة لا أطمع فى غيرها — (يهم بتقبيلها فتتراجع) .

وردة — (ساذجة) — آه !... كلا !... كلا !... لقد فهمت الآن سر أمنيتك ... لم يبق عندى ريب فى أن نيخت العجوز قد وقفت على أسرار الرجال وأن نصيحتها لى كانت فى محلها من الصواب ...

راميرى — ومن تكون هذه العجوز ومن أين لها الاطلاع على سرى ؟...

وردة — (ساذجة) — ساحرة تقطن المغارة المقابلة. وقد أنبأتنى بأنه قد حان الوقت الذى يدنو فيه منى رجل يجاذبنى حديث الغرام ويمعن النظر فى وجهى فاذا نظرت اليه كما ينظرنى هم بلثم شفتى ... على أنها أوصتنى بأن أدعه وشأنه لا أنظر اليه ولا أحدثه قائلة لى إننى اذا مكينته من تقبيلى فقد خولته القدرة على انتزاع روحى وانى متى أصبحت بلا روح تسلطت على أرواح الشياطين فلا يهدأ لى بال ولا يستقر لى حال بل أكون كريشة فى مهب الرياح تدفعها المهاوى وتلفظها البحار وتطردها السموات ...

راميرى — (ضاحكا) — يالها من ساحرة خبيثة !... وهل تصدقين هذا الهراء ؟...

وردة — (مستمرة) — إنه ليشق على أن أضنّ عليك بقبلة ... ولكن ... هل يروقك أن أصبح بلا روح فأهيم فى الأدوية والبيداء وأقضى حياتى فى الشقاء والتعاسة ؟ ...

راميرى — وهل العجوز تحب الخير وتصنع المعروف ؟...

وردة — ... لا ...

راميرى — اذن لقد كذبت عليك ... تبا لها من امرأة ماكرة... جدير بى يا حبيبتى أن أمزج روحى بروحك لا أن أنزعها من بين جنبيك كما تدعى هذه المرأة الشريرة ...

وردة — أحب إلى أن يتحقق قولك فلقد سبق لى أن استشعرت أثرا منه فى نفسى ...

راميرى — انك لقاسية القلب ياوردة اذ تحرمينى هذه السعادة — (وردة يعروها الخجل . تطرق الى الأرض) — ألا تريدين أن تمنحينى هذه القبلة... قبلة صغيرة — (مبتسما) — صغيرة للغاية ... لن يكون فى استطاعتها أن تنزع منك شعرة واحدة ... هيا ... ها أنذا أفتح لك ذراعى — (تتردد وردة لحظة ثم تندفع اليه . يعانقها) — شكرا لك يا حبيبتى — (مبتسما) — الآن سأعيد الكرة فماذا تقولين ؟ ...

وردة — — (لاتزال بين ذراعيه) — إنى لك بكليتى ... افعل بى ما تريد — (يقبلها ثانيا وثالثا . وردة مستسلمة له) .

راميرى — ما أعذب ما ارتشفت من فمك ! ... ما أسعدنى بك ياحبيبى ! ...لقد أوليتنى نعمة لن أنساها أبد الدهر ... أتحبيننى مثلما أحبك ؟ ...

وردة — (ساذجة) — ألم تكف هذه القبلة شاهدا على حبى... لقد كانت بحذوة ملتهبة سرت حرارتها الشديدة فى كل جسمى ... (بغتة يبدو عليها طارئ من الحزن) — ولكن — (تسكت) .

راميرى — ولكن ماذا ؟ — (وردة تظل صامتة برهة ثم تغرورق عيناها بالدموع) — تبكين ؟ ... لماذا ؟ ... أأنت حزينة ؟ ... رباه ! ... قولى لى لماذا تبكين ؟ ... ماذا بك ؟ ...

وردة — لاشيء ... انني أبكي من شدة الفرح ... لم أكن أؤمل قط في كل هذه السعادة . عند ما كنت أفكر فيك قبل هذه الأيام الأخيرة وأمثلك لخاطري لأناجيك كنت أفقد الراحة ولا يهنأ لي بال ... لطالما كنت أمد النظر الى الباب وأسائل نفسي ... أيتنازل ابن رعمسيس وشقيق من أنقذتني من مخالب الموت بالحضور الى هنا ليرمق بعينيه أسيرة فضلها وصنيعة مروءتها أم يأنف من زيارة فتاة فقيرة مثلي ... فلما جئت وحققت فيك ظنوني .. لم أتمالك أن فاضت مشاعري ... فبكيت ...

راميري — ومتى كان الفقر عارا ياوردة ؟ ... متى كان للفقر أن يمنع الحب ! ... كلا ! .. انما أنت التي تنازلت من عرش جمالك الرائع فرضيت بحبي ... أنت لي الحياة والسعادة ... أنت لي كل شيء في الوجود ...

وردة — لكنني فتاة تعسة حكم على أسرتها بالدنس ... ان بيني وبينك هوة عميقة لايستطيع أحدنا أن يتخطاها ... كلما مثلتها لذهني تولاني منها الفزع والخوف وأحسست يأسا عميقا قاتلا يحز في قلبي ويدميه فلا ألبث أن تنهمر دموعي ...

راميري — أمثلك ياوردة من يحكم عليه بالدنس؟ — (يمسح لها دموعها) — كفكفي هذه الدموع ... بحق حبنا ... لأنت الطهارة نفسها . أنت الاخلاص والمحبة ... كلا ... لست أعتقد فيك الدنس انني هنا الى جانبك ألمسك ولا أخاف ... وأقبلك ولا أخاف ...

وأحدثك عن حبي ولا أخاف ... ثق أنه يوجد فى جانبك انسان يقدرك تقديرا خاصا ويضعك فى أسنى المراتب وأسماها ... وسوف يعمل ما استطاع الى انتشالك من الوهدة التى تعيشين فيها ... انها لا تلائم طباعك ورقة شعورك ! ... أريد أن أرفعك الى المركز السامى الذى أنت أهل له والذى يليق بهذا الجمال !...

وردة — وماوسيلتك أيها الأمير الجميل ؟... ان حبك لى واخلاصك يصوران لك أوهاما تخال تحقيقها ميسورا ... انى أعيش هنا مع جدى المحنط وجدتى التى تمتهن الندب والعويل على الأموات ... أما والدى .. الجندى ، فقد ورث الدنس عن أبيه ... وهذا الدنس متصل بى لامحالة ... كيف يمكنك أن تفصم العروة الوثيقة التى تربطنى بهم ... ثم انى لأكون ناكرة للجميل اذا ترفعت عنهم وهم أهلى وذوىّ ... وهم مرجعى وملاذى ...

راميرى — ليخيل الىّ كلما تفرست فيك أنك لا تنتمين الى هذه الاسرة بنسب عريق ... ان وجهك يخالف وجوههم جميعا كما أن أخلاقك وطباعك تخالف أخلاقهم وطباعهم ... حقا إنك لوردة غرست فى وسط الأشواك ، خلى عنك هذا الأسى ... دعينى أبحث حتى أتبين حقيقة أمرك ... إنى لموقن بأنك سوف ترتفعين درجات فوق درجتك وتبلغين الى قمة المجد التى أطمع أن أوصلك اليها — (وردة تظل صامتة شاردة الفكر) — على أننى سأعنى بتوفير أسباب السعادة لأهلك ... لن تكونى

ذاكرة لجميلهم ... سينالون من وراء سعادتك ما لا يحلم به أمثالهم ! ... لقد كلمتنى أمس عن خاتم قلت ان عليه نقوشا غريبة فأين هو؟ ... أريد أن أطلع عليه مترجم الملك فلعلى واصل معه الى نتيجة ...

وردة — لقد طلبته أمس من جدتى وإنى محتفظة به فى خزانتى ... تعال أطلعك عليه — (يهمان بالخروج من المسرح لكن يسمع بغتة من الخارج عويل امرأة عجوز وصوت رجل خشن الطبع يهوى عليها بالسوط) .

راميرى — ما هذا الصوت الغريب ... إن جسمى ليقشعر منه ...

وردة — (بوجل) — يخيل إلىّ أنه صوت نيخت العجوز ... ترى ... أى خطب دهاها ؟ ... لعلها أحست أنك قبلتنى ! ...

راميرى — (ضاحكا) — دعى عنك هذا الوهم ياحبيبتى ... ألا تكون هذه الساحرة هى التى خبرتنى عنها شقيقتى — (يقترب العويل) — ان شخصا يضربها ! ... انتظرى يا وردة ... بل ادخلى أنت ... أريد أن أتبين الحقيقة ! — (فى هذه الأثناء يكون قد ظهر فى صدر المسرح بعاكر وبيده سوط يهوى به على جسم المرأة العجوز — الى وردة) — آه ! ... هذا بعاكر ... ادخلى أنت يا وردة ... فانى أريد أن أتتبع خطاه ...

وردة — بل سأبقى معك ... اسمع ... تعال ... ان فى غرفتى نافذة صغيرة تطل على مغارة الساحرة ... يمكننا أن نرى كل شىء دون أن تلمحنا — (يخرجان) .

المشهد الرابع

[بعاكر ، نيخت]

بعاكر — (وقد أهوى عليها بالسوط ، تقترب نيخت شيئا فشيئا أثناء هذا المنظر حتى تبلغ مغارتها) — خذى هذا ثمن مائك أيتها العجوز الماكرة ... ان دواءك لم ينجع وسحرك ضرب من الهذيان ...

نيخت — (مهددة) — ألا تخشى إذن أيها الوحش العنيد أن أسخر سحرى وتعاويذى لأذاك فاجعل لك جسم انسان ورأس حيوان ؟ ...

بعاكر — كفى مزاحا أيتها الشيطانه اللعينة ! ... لئن لم تعدى لى ماء أنجع من ذلك الماء يعيد إلىّ القلب المستعصى ولين العاطفة الجامدة لأحطمن رأسك الفارغ تحت قدمى وأنثر لحمك وعظامك تحت نير هذا السوط ... هلمى — (يضربها بالسوط) — ان وقتى ثمين وكل لحظة تضيعينها علىّ تساوى حياة عشرة من أمثالك ! ...

نيخت — (بنفس اللهجة الأولى) — يالك من رجل غليظ الطبع فظ اللسان ... إنك حقا لا تشبه أباك . فلا أنت منه جسما ... ولا أنت منه روحا ... لولا عفة عرفت بها أمك لشك رعمسيس نفسه فى حقيقة مولدك ...

بعاكر — (صائحا) — أيتها المرأة الشقية ! ... ماذا تعنين ! ...

نيخت — أعنى أنك لست ابن أبيك ! ...

بعاكر — (هائجا) — قلت كفى مزاحا سقيما ... أيتها الدنيئة الفاجرة . لسوف أستل لسانك وأقطعه إربا ان لم تكفى عن الهجون ! ...

نيخت — لك أن تفعل بى ما تشاء فان ذلك لن يغير وجه الحقيقة ... ان آسا الشريف ليس بأبيك ...

بعاكر — (هائجا جدا) — أتقولين جدا أيتها المرأة ! ... من يكون اذن ابن آسا إذا لم يكن هذا الواقف هنا ! ...

نيخت — هناك شخص أكثر منك شبها به ... انك تعرفه ... انه لأكرم منك خلقا ، وسيماه أكثر من سيماك نبلا ...

بعاكر — (صائحا) — من يكون هذا الرجل ! ... صرحى لى بكل ما تعرفين عنه ... أو يغتصب منى شرفى وجاهى بعد أن اغتصب حبى وهنائى ؟ ... لا ! ... لا ! ... أريد أن أعرف هذا الرجل ! ...

نيخت — إذا كنت تصرّ على معرفة الحقيقة التى دلنى عليها طالعك المنحوس ... فهناك ... هذا الرجل ... هو بنطاؤر ... !

بعاكر — (وقد تملكه الهياج والاندهاش) — ماذا تقولين ؟ ... بنطاؤر؟ !... أهى الحقيقة ما أسمع؟ !... أم هواجس الشياطين !... بنطاؤر ! ... تقولين بنطاؤر ! ...

نيخت — أجل بنطاؤر ! ... انظر الى ملامح وجهه ، انظر الى عينيه وجبينه ، انظر الى قامته المعتدلة ... كل شيء فيه ينطق بانه ابن ذلك الموهار ، ذلك القائد العظيم الذى كان سند رعمسيس وذراعه ايمنى ... أنت ! ... انظر الى نفسك فى مرآة ! ... لا شبه بينك و بينه على الاطلاق ! ...

بعاكر — وما دليلك على ما تقولين ؟... أريد برهانا قاطعا لا يقبل الشك ...

نيخت — البرهان عندى أبرزه فى الوقت المناسب ...

بعاكر — (صائحا) — أريد البرهان ... أيتها الشيطانة اللعينة ... أريد البرهان حالا ! ...

نيخت — سوف تعلم كل شيء ... سوف أقدم لك كل ما عندى من البراهين عند ما يحين الوقت المناسب ...

بعاكر — لقد قلت مثل هذا القول لآنى ...

نيخت — نعم لأنى لا أتكلم إلا بميزان ولا أصدر إلا بأذن من الشياطين ... لكن ... كن مطمئنا فانى سأكتم عن جميع الناس كل هذه الحقائق ... دعنى أعد لك الشراب الذى يستهوى أفئدة الحسان ... عسى أن تنعم بحب نيفرت ... انى لا أشك فى أنك ستنجح هذه المرة فى استمالتها ... لكن هذا الماء سوف تشربه بنفسك فيعطى وجهك ملاحة تستهوى معشوقتك ورقة تأنس اليها وخفة روح تزيدها شغفا بك — (تنادى نيمو ... نيمو ...) ...

نيمو — (من داخل المغارة) — نعم يا أماه ! ! ...

نيخت — هل غلى الشمع الذى على النار ؟ ...

نيمو — (من داخل المغارة) — نعم يا أماه ...

نيخت — اذن ضع عليه عين قرد و ريش أو ز وخرقة بالية من ثوب معلم ثم حرك هذا المخلوط رويدا رويدا فاذا امتزج بعضه ببعض أطفئ النار ثم خذ جرة واملأها ماء — (الى بعاكر) — سوف ترى ياسيدى أن سحرى ليس من الشعوذة فى شىء . وأن دوائى سيكون ناجعا . فقط يلزمك أن تؤمن بسحرى وتسلم بقولى والا ضاع مفعوله وراح هباء — (فى هذه الأثناء يدخل نيمو وهو من الأقزام ومعه جرة الماء فيناولها لنيخت التى تعطيها بدورها الى بعاكر) ...

نيخت — خذ واشرب هذا الماء فانه أشد مفعولا من الماء السابق . اشربه هنا أمامى بينما أرتل لك التعاويذ والرقى — تطلق نيخت بخورا من مدفأة صغيرة تكون جوار الباب ثم ترتل فى سرها بعض التعاويذ)...

بعاكر — اليك اذن هذا الكيس ! . عوضى به بعض ماسبب لك سوطى من الألم . يتناول منها جرة الماء ويشرب بنهم ...

نيخت — اشربها عبا حتى تأتى على آخرها . اشرب حتى يسرى مفعولها فى كل جسدك .

(أثناء هذا المنظر يسدل الستار)

الفصل الثالث

المنظر الأول

قصر الملك رعمسيس

[غرفة الأميرة بنت أنات ، فاخرة الأثاث ، فى الصدر فتحة تؤدى الى شرفة على حديقة القصر] .

المشهد الأول

[بنت أنات ، نيفرت]

[عند رفع الستار تكون نيفرت جالسة على أريكة وثيرة لكنها قد أكبت بوجهها على وسادتها مسترسلة فى البكاء وقد جلست على أريكة أخرى بالقرب منها الأميرة بنت أنات تواسيها وتداعب شعورها بيدها] .

بنت أنات — (بحنان) — حبيبتى نيفرت حتام هذا البكاء ... تشجعى ؟ ... عما قريب يعود اليك زوجك ويعيد الى قلبك الطمأنينة والهناء ... لقد غرس بعاكر فى نفسك الشك لمآرب فى نفسه وغاية دنيئة كان يسعى الى تحقيقها وأنت أدرى بما قصد اليه أخوك من خطابه ... اذا كان مينا قد تأخر عنك فى رسائله فلا ريب أن

شواغل الحرب قد منعته من الكتابة اليك ... انظرى الى يا نيفرت ... انظرى الىّ يا حبيبتى فانى أريد أن أتحدث اليك — (ترفع نيفرت رأسها) — نعم ... هكذا ... امسحى هذه الدموع — (تمسح نيفرت دموعها) — لقد غيرت من جمال وجهك ولست أحب أن يقلل البكاء من روعة عينيك ...

نيفرت — (مختنقة بالعبرات) — ليت الكرى يأخذ بأجفانهما الى الأبد فارتاح من ذلى وعنائى ...

بنت أنات — ثقى بأن مينا لا يزال على عهده ... وأنه لم يفكر قط فى خيانتك ... اطردى هذه الأوهام ... انها تسمم حياتك ... لا تعلقى كل هذا الاهتمام على ما يشيعه الغير ... إن الناس لا يدركون كلهم معنى ما يقولون ... ولا يحسنون ضبط الألفاظ التى تخرج من أفواههم ... أيخون الوفاء من تكون نيفرت زوجته ... لا !... لا !... يا حبيبتى نيفرت ... لست أصدق ذلك ولو رأيته بعينى ...

نيفرت — (متهدة بشدة وقد أمسكت بيديها يدى بنت أنات كأنها تستغيث بها) — آه !... يا صديقتى العزيزة ... لو كنت تقولين حقا ! — (منفعلة) — بودّى لو ذهبت الى الحرب بنفسى ... واقتحمت أهوال القتال ... لأرى بعينى ما يدور هناك ... آه !... لست أصدق أن مينا يخوننى ... لكننى أيضا لست قادرة على أن أنتزع الشك من نفسى — (باكية) — بذرة عذاب ألقاها باكر فى قلبى فأنبتت أشواكا طغت عليه ... حتى ... لتكاد تقتلنى ...

بنت أنات — هذا الشقى باكر ! ... بودّى لو رأيته فأؤنبه على فعلته ...

نيفرت — ليت الأمر قد قصر على ذلك ... لقد ذهب الماكر الى أمى يعرض عليها ماله ومساعدته متصنعا أن الرحمة وجدت سبيلا الى قلبه فأقبل على انتشالنا من وهدة العار التى زجنا فيها طيش أخى ... لقد كادت تنصاع له وتقبل هذه التقدمة المشوبة بالأنانية والأغراض الدنيئة ... ثم ... هذا العبد نيمو ... الذى أهداه اليها ... والذى يجزم الأمير راميرى بأنه ابن الساحرة ... إننى لا أرى معنى لكل هذه المناورات ... الا أن يكون هناك شرّ يدبر لى فى الخفاء ...

بنت أنات — وبماذا أجابته والدتك عن ذلك ؟

نيفرت — (متهكمة) — لقد شكرته طبعا على صنيعه ... لقد قالت لى إن بعاكر رجل كريم بلا ريب ... عند ذلك ... لا أخفى عنك ، لقد تملكنى الغيظ وأغربت فى الضحك ساخرة فى وجه أمى وقلت لها لا يخالجنى شك فى أنه يعرض علينا المعونة لأن حبى لا يزال متأججا فى فؤاده ... لكن ليطمئن ... فلن يظفر منى بطائل مهما كلف نفسه من مشقة ومهما بذلت يداه الكريمتان من هبات ونعم ... لقد ظنّ أن يستميلنى اليه من حيث يزعم أن ينقذنى من عار أخى ومن حيث يبذر الشك فى نفسى ... آه ! ... كلما فكرت أيتها الصديقة العزيزة أنه قد حرمنى السعادة والراحة إذ أثار فى نفسى الشك فيمن كنت أعبد ... وأنه سلبنى بذلك كل شىء ... حتى الهواء الذى استنشقه ... حتى الدم الذى يجرى فى عروقى والذى عليه مدار حياتى ...

بنت أنات — هوّني على نفسك .. لا تستسلمي للحزن ولا تجعلي الشك يتسلط على نفسك ... لقد كانت والدتك حسنة النية بلا ريب ...

نيفرت — لست أنكر أن والدتي تحبني وأن هنائي هو غاية ما تطمح اليه ... لكن لا ريب أيضا في أنها قد أساءت التصرف في أموال زوجي ... قد كنت أنا لاهية عنها وهي تنفقها بغير حساب ... لكن ها هي الآن تخاف عاقبة عملها وتعمل لعودة مينا ألف حساب .. طبيعي أن تقبل هبة بعاكر وأن ترى فيه منقذا لها من الورطة التي وقعت فيها .

بنت أنات — إذا كان هذا كل ما يحزنك يا حبيبتي نيفرت... فكوني مطمئنة ... سوف أكتب الى أبي فأشرح له حقيقة الحالة ... إنه يحب مينا ولن يتوانى في نجدته وإنقاذه — (نيفرت تنظر الى بنت أنات نظرة طويلة لكنها تظل صامتة . تغرورق عيناها بالدموع) — أرى يا نيفرت أن قلبك أصيب بجرح بليغ ... لقد صوروا لك الحوادث في أشنع الصور ... لكني واثقة ... واثقة يا نيفرت... أن جرحك سيلتئم عما قريب ... ستعود المياه الى مجاريها ... قومي بنا الى الشرفة ... هلمي ... نستنشق الهواء ... تعالي نسري عن نفسنا الهم فننظر الى الأفواج المتقاطرة التي تحتفل اليوم بالعيد ... أتذكرين الأعوام الماضية ... إذ كانت الأسرة المالكة دائما في مقدمة السائرين في موكب الإله آمون ! ... لقد كنا ننبث بين الجماهير ونخالط بافناء الناس ... ونسير على الأقدام من القصر الملكي الى الهيكل الرباني ...

نيفرت — لا ريب أن العيد هذا العام أقل روعة من الأعوام السابقة ... لقد تعود الشعب فى هذا العيد أن يرى مليكه ويهتف له ويحتفل بابنة الشمس احتفاله الباهر ... فمن يحيى هذا العام ! ...

بنت أنات — آنى ! ... طبعا ...

نيفرت — آه ! ... هذه الدسائس التى يقوم بها هذا الرجل ! ... مع آمينى وبماكر ... لسوف تكون العاقبة وخيمة عليهم جميعا ! ...

بنت أنات — لقد نصبوا شباك المؤامرة فى كل مكان ... لم يدعوا ظرفا للتمويه على الجماهير دون أن يستغلوه ... أرأيت كيف استغلوا وفاة الشيخ رونى الذى كان رئيسا لهيكل آمون ... فأشاعوا بين الجماهير أنهم عندما شرحوا جثته لتحنيطها لم يجدوا بها قلبا اعتياديا ...

نيفرت — (باستغراب) — فماذا وجدوا إذن ؟ ...

بنت أنات — لقد وجدوا بدل قلب الانسان قلب حمل مقدس ! ... يقولون إن الرجل لصلاحه انتقل الى صدره قلب الحمل ... وقد أصبح الشيخ فى عرفهم نبيا ... لقد زادوا على ذلك أن رونى ينتمى الى أسرة الوالى وأن هذا قال حسن بقرب تغير الأحوال ... ترين يا عزيزتى أن الأحوال التى ينتظرون بفارغ صبر أن تتغير هى تربع أبى على عرش مصر وضربه على أيدى الكهنة بيد من حديد ... لهذا عمل آمينى كل ما وسعه لكيلا يحضر أحد من العائلة المالكة احتفال اليوم ... لقد أصاب أخى راميرى مع ذلك اذ تنكر فى زى بستانى وذهب الى المقابر يضع أكاليل الزهر

على قبر والدتى ووالدة قرينك ميلا ... هيا ... نيفرت ... قومى بنا الى الشرفة لتخفف ما بنفسك من العناء — (تقوم بنت أنات ثم نيفرت وتتجهان نحو الفتحة التى فى صدر المسرح والتى تؤدى الى الشرفة — تقفان) — آه ! ... ما أجمل هذا المنظر ... ما أبدع الشمس فى أفولها يا نيفرت ... وهذه السماء قد كسيها احمرارها حلة ارجوانية عجيبة ... يخيل الى أن السحب الخفيفة المتقطعة قد اثرت على صفحة السماء حفنة من العقيق والياقوت ... يا لهذا التناسب العجيب الخلاب ... اسمعى يا نيفرت ... اسمعى ... هذا صدى أنغام العيد ... هذه أصوات التراتيل التى ينشدها الكهان فى الهياكل ... انها لتثير فى نفسى الأشجان والذكريات ! — (بالدفع) — لكن ... ما هذا ... ما هذا يا نيفرت ... انظرى ... أليس هذا أخى راميرى ! ... نعم إنه هو ... لقد انتهى الاحتفال اذن أو قارب الانتهاء ... لقد جاء بلا ريب يحمل الينا الأخبار ! ... انه ليسرع الخطى كأن أمرا جللا وقع اليوم ... لو كان أبى هنا ! ... إن قلبى ليحدثنى بسوء ! ...

نيفرت — (وقد نسيت نفسها) — مهلا يا صديقتى ... لا تتعجلى ... ترينى ... سنعرف الآن كل الحقيقة من أخيك راميرى ...

بنت أنات — آه ! ... انى خائفة ... خائفة ... ولكن ... أيتها الآلهة — (برهة صمت طويلة تعود بنت أنات إلى مكانها الأول داخل المسرح . نيفرت تظل واقفة فى مكانها لحظة ثم تعود الى داخل المسرح . تجلس على أريكة غير التى كانت جالسة عليها فى أول مرة . نيفرت وبنت أنات تبدو عليهما كلاهما حيرة شديدة لكنهما لا تستطيعان أن تتكلما . يدخل الأمير راميرى) .

المشهد الثانى

[السابقتان ، راميرى ، ثم حاجب]

[يدخل راميرى بحالة اضطراب شديدة ، تبادره بنت أنات بالحديث] .

بنت أنات — (بلهفة) — ماذا جرى ؟ ...

راميرى — (بحالة عصبية شديدة) — شقيقتى العزيزة ! ...

بنت أنات — ماذا يارامبرى ؟ ... قل لى بربك ...

راميرى — أما سمعت يا أختى ؟ ... أما دوت فى أذنيك أصوات هياج الشعب وثورته التى عمت كل الأرجاء ...

بنت أنات — وماذا يريد الشعب ؟ ...

راميرى — يريد ملكا جديدا ينزع إلى السلم والراحة لأنه مل حياة الحروب ...

بنت أنات — وهذا الملك هو آنى !

راميرى — آنى ! ... نعم ! ... هذا الوغد الدنىء ! ... وذلك المراوغ آمينى ... لقد طالما كان يدعى الاخلاص لأبى وعرشه ... وها هو اليوم قد أزاح عن وجهه نقاب الرياء فبدت لى أغراضه الوضيعة واضحة جلية ... ما كاد يبلغ الموكب مقر الاحتفال وانتهى ترتيل الأناشيد حتى نهض آمينى واقفا تحت الظلة التى اعتاد أن

يقف فيها أبى وألقى خطابا ناريا مسهبا حمل فيه على أبى حملة شعواء ... لقد وصفه بالأنانية والاستهتار والكبرياء وعزا إلى مطامعه وشهواته كل ما حل بالبلاد من البلاء وما أصابها من نكبات الحرب ... ثم أخذ يكيل له من ضروب التشنيع ما راق له وطاب ...

بنت أنات — والشعب! ... كيف كان يتلقى هذه الكلمات؟...

راميرى — إن كل كلمة من كلمات آمينى كانت تصيب هدفا فى قلب فرد من أفراده ... فذكريات القتلى وما تركوا وراءهم من أسر لا عائل لها ... وذكريات الخراب والدمار الذى تركته الحرب وراءها وتهديد البلاد بقحط هائل لا ينقذ البلاد منه إلا انقلاب عظيم ... كل ذلك أثار فى الناس حمية لم أكن أتوقعها ... فما هى غير لحظات قلائل حتى استحالت غمغمة الشعب إلى ضجة عالية وصياح مرتفع ... عند ذلك قدم لهم آنى وقال إنه هو الرأس المدبر الحكيم والقلب النزيه والضمير الحى الذى سيعيد إلى البلاد الرخاء والسعادة اللتين حرمها رعمسيس منهما زمنا طويلا ... ثم هتف له ثلاثا فردد الشعب الهتاف وتعالت الأصوات حتى بلغت عنان السماء ...

بنت أنات — وماذا أيضا!

راميرى — وماذا أيضا! ... ماذا تريدين أيتها الشقيقة العزيزة أن أقول أكثر من ذلك ... لو كنت رأيت الجموع وهى تنساب فى الوادى حاملة فى أيديها المشاعل تسطو على كل شىء وتعتدى على كل شىء ... آه! ... لقد رأيت من مشاهد الثورة ما أثار

فى نفسى الاشمئزاز واستفزنى إلى السخط ... رأيت الجموع تندفع فى الوادى كالسيل الجارف فى زمجرة هى هزيم الرعود أو زئير السباع الجائعة وقد اندلعت فيهم روح الثورة كما تندلع النار فى الهشيم ... رأيت جثثا تراكمت فوق بعضها تسيل منها الدماء ويعلوها التراب ...وقد انبعث فى الجو دخانها القانى وعقد فيه أعمدة مخيفة من سحب حمراء ... كانت أشباحها تطاردنى وتصرخ فى بأصوات ملؤها الذعر أن أنتقم لحياتها المهدورة ... آه ... لو رأيت ذلك يا أختى ... لما تمالكت ...

بنت أنات — (بقلق) — عزيزى راميرى ... انك لمحموم ...

راميرى — (بنفس اللهجة السابقة) — لست أدرى أبى حمى أم غضب أم ارتياع ... لقد رأيت أناسا لاذوا بالفرار إذ عملت يد الهدم والحريق فى منازلهم فباتوا بغير مأوى ... وأناسا أقعدتهم الشيخوخة أو المرض عن التماس الهرب فدفنوا تحت الأنقاض أو احترقوا فى أماكنهم ...

بنت أنات — وكل هذا من تدبير آمينى ! ...

راميرى — نعم ! ... الخائن آمينى ... لقد عمد إلى تلك الحيلة الغريبة ... المصطنعة ... لاستهواء الشعب ... فأعلن اليه المعجزة ... الخارقة ... المخترعة ... وعزاها إلى ارادة الآلهة ... فما كادت الأفواج ترى قلب الحمل وقد سار فى الموكب تحمله أيدى الكهنة

وهو يسطع فى إناء بلورى يخطف البصر حتى خروا جميعا سجدا وصادقوا على جميع أهوائه ... لقد عرف كيف يضلل الناس ويسمم قلوبهم وأفكارهم ...

بنت أنات — ... و بنطاؤر ... ألم تسمع عنه شيئا ؟ ...

راميرى — لقد صدر العفو عنه فى اللحظة الأخيرة لأنهم احتاجوا إليه لإلقاء خطاب العيد ... لأن الخطاب الذى أعده جاجاو الكاهن الثانى لبيت سيتى لم يف بالغرض ولم يحز قبول الرئيس ... لكنه لم يتمكن من إلقاء كلمته لأن الهرج والضجيج كانا قد سادا فى مقر الاحتفال على أثر انتهاء آمينى من خطابه الثورى فصما الآذان عن سماع بنطاؤر ...

بنت أنات — هل غادر إذن جميع المحتفلين مقر الاحتفال؟...

راميرى — لقد أحدث الثورة بضعة آلاف منهم وظل البعض ينتظرون نهاية الاحتفال ... لكنى سارعت المجىء اليك خيفة أن يستفحل الخطب وليس لديك علم بما جرى ...

بنت أنات — إذا خطب بنطاؤر ... واستمع له باقى المحتفلين فلا ريب عندى فى أنه سيحول دفة الثورة ضد آنى و جميع أعوانه... ان بنطاؤر لم يبرح مرة للخطابة الا ساد الخشوع بين المستمعين وأعاروه آذانهم الصاغية ... ان هؤلاء الذين قاموا بهذه الضجة لا ريب أنهم من جماعات السوقة المرتزقة اكتراهم آمينى لاحداث الهرج ... اسمع يا راميرى ... ابق أنت هنا مع نيفرت ... وسوف أذهب أنا إلى هناك أتحرى الحقيقة ...

راميرى — تخرجين وحدك ؟ ... الآن ؟ ... ان الطريق خطرة والسير فيها غير مأمون ...

بنت أنات — سأتجنب السير فى مواقع الخطر وأسير متنكرة فى زى امرأة بسيطة ...

راميرى — ولكن — (فى هذه اللحظة يدخل حاجب) .

الحاجب — (الى بنت أنات) — مولاتى ... بباب القصر فتاة تبكى ... حاولت أن أمنعها من الدخول لكنها تنتحب بشدة وتلح فى مقابلة مولاتى ...

الحاجب — (متلعثم) — تقول ان اسمها .. وردة ... وأنها ابنة جندى يدعى ... بربروس ...

راميرى — (صائحا قبل أن ينتهى الحاجب من حديثه) — ما ذا تقول ؟ ... وردة ؟ ... وردة هنا ؟ ... تبكى ؟ ...

بنت أنات — أدخلها حالا — (يخرج الحاجب ، الى نفسها) — وردة تبكى ؟ ... ترى ماذا حل بها ؟ ... هل أصاب أسرتها سوء ؟ ...

راميرى — سأستقبلها بنفسى ! — (يهم بالخروج فيلتقى بوردة عند الباب) .

المشهد الثالث

[السابقون ، وردة]

رامیری — (صائحا) — وردة ! ... حبیبتی وردة ! ... ماذا حدث ؟ ... تبکین ؟ ... لماذا ؟ — (تظل وردة صامتة لکنها تبکی) تعالی ! — (یأخذ بیدها حتی تتوسط المسرح) — قولی لی لماذا تبکین ؟ — (لاتستطیع وردة أن تتکلم انما یزداد نهیقها) .

بنت أنات — هل أصابك سوء یاعزیزتی ؟ ... تعالی ... اجلسی هنا — (تجلسها علی أریکة وتجلس بجانبها . رامیری ینظر الیها مبهوتا ومتأثرا ، یرفق زائد) — هل آلمك أحد ؟ ...

وردة — (مختنقة بالبکاء . تتسلل حتی تجثو علی رکبتیها أمام بنت أنات) — مولاتی ! ... الرحمة ! ... الرحمة ! ...

بنت أنات — ماذا یا حبیبتی ؟ ... تکلمی ...

وردة — انی عاجزة ... عن أن ... أتکلم ... انی ... آه ... کلما تصورت ... لقدرأیت — (تحدق بنظرها الی شیء مجهول مرتاعة) — آه ! ...

بنت أنات — ما ذا ؟ ... وردة ؟ ...

وردة — انی ... أختنق ...

بنت أنات — (متأثرة جدا) — ما ذا رأیت یاحبیبتی ؟ ...

وردة — رأیت ... جدی ... جدی ... یامولاتی ...

بنت أنات — ما ذا أصابه ... انهضى أولا ... اجلسى هنا ...
(تنهض وتجلسه فى مكانها) ...

وردة — (تهمهم) — لقد ... قتلوه ! — (تنفجر باكية) .

بنت أنات — (مذعورة جدا) — المسكين ! ... من الذى قتله ؟ ...

وردة — ... الثوار ... الثوار ... يا مولاتى ... لقد اندفعوا نحو جميع بيوت المحنطين فأعملوا فيها التخريب والنار ... لقد كانوا يصيحون وقد أخذتهم سورة الغضب والخمر ... أسرعوا الوثبة اليهم ! ... اقتلوا هؤلاء المدنسين ! ... قطعوهم ارباً ! ... احرقوا أوكارهم ! ... لقد رموا على بيتنا جذوة ملتهبة فلم يلبث أن شبت فيه النار فأكلته عن آخره ... آه ! ... كأنما أحس المسكين دنو أجله اذ قبلنى هذا الصباح وهو يبكى وقال لى ودعينى ياحبيبتى وردة ... ودعينى فانى سوف أموت ... لقد عانقنى بحرارة لم أعهدها فيه من قبل وكان يتمتم بكلمات لم أفهمها ... لقد كان طول أمس ساهما دائم التحديق بنظره فى نقطة واحدة ... كان من آن الى آن يرفع يده الى جبهته كأنما يحس ألما شديدا فى رأسه وكأن بهذا الرأس أفكارا وهواجس سلبته الطمأنينة ... لقد كان يهذى أحيانا ويضحك أخرى لغير سبب ظاهر ... حتى مر الموكب أمامه وسمع المبشر يعلن عن المعجزة الالهية بصوته الجهير فرأيته اذ ذاك وقد ارتعدت فرائصه وخيل إلى لفرط ذهوله أنه فقد رشده ولم يتمالك أن دفع بنفسه وسط الزحام حتى صار على مقربة من القلب وهم أن يلقى بنفسه على حامليه ... عند ذلك استشاط المحتفلون

غيظا فهاجمه بعضهم ... وقبضوا عليه ... فلما حاول التخلص من أيديهم ضربوه ضربا مبرحا وما زالوا به حتى أيقنوا أنه ... مات عند ذلك اندفعوا نحو بيوت الآخرين فلم يبقوا لها على أثر ...

بنت أنات — يا للمسكينة ! ... هدئى من روعك يا وردة ... انك لشديدة الاضطراب ! ..

وردة — (مرتاعة) — آه ! ... مولاتى... ان المنظر الفظيع الذى رأيته ... لن يفارقنى أبدا ... جدى المسكين ... ملقى على الثرى... وقد علمت فى وجهه عصى أولئك الثوار الغلاظ القلوب ... وقد شج رأسه بأثر ضربة قاسية من هراوة عنيفة فروت دماؤه الأرض رباه ! ... انى لأرتعد ... ضمينى اليك يامولاتى ... خبئينى اننى خائفة ...

بنت أنات — (مرتفقة) — مم تخافين؟ ... إنك هنا ... معى ... اطمئنى — (تضمها إليها ، وردة تحدق بنظرها فى الفضاء كأنها ترى شيئا مجهولا) .

وردة — انظرى ... يامولاتى ... اننى أرى هنا ... أمام عينى... بل هنا ... فوق جبينى ... صورة بشعة سـوداء ... انها ثابتـة ... لاتريد أن تتحول ...

بنت أنات — لست أرى شيئا ياحبيبتى ... انك لمحمومة ...

وردة — بل نعم ... هانذا أراهم ... انهم يريدون أن ينالوا منى أنا أيضا — (تصرخ وتضم نفسها بشدة الى صدر بنت أنات كأنها تحتمى بها) — أتسمعين ؟ ... انهم يصيحون بملء أفواههم ... احرقوها ...

الفتاة المدنسة ... قطعوها اربا ! ... انهم يرجمونى بالأحجار ... انظرى ... هاهى جدتى ... جدتى أيضا بين أيديهم ... انهم يقتلونها ... انها تحاول التخلص من بين أيديهم ... انها لاتستطيع ! ... آه لقد ماتت ! ... ماتت هى أيضا ! ... (تبكى) .

راميرى — (الى بنت أنات بقلق) — انها لفى اضطراب شديد من أثر المناظر التى روعت بها ... أرى يا أختى أنها فى حاجة قصوى الى الراحة ... هذه الصور التى تتخيلها ...

بنت أنات — سآمر حالا باعداد فراش لها ... حتى يأتى نبسشت بعد انتهاء الاحتفال ... لقد قال انه سيأتى ليراك ياعزيزتى نيفرت ... أليس كذلك ؟ ...

نيفرت — (بابتسامة) — نعم ...

بنت أنات — هل انتهى الدواء الذى كنت تتعاطين ؟ ...

نيفرت — (بابتسامة) — نعم ...

بنت أنات — ما زلت أراك حزينة يانيفرت ... انك واجمة لاتتكلمين ... أنت أيضا بحاجة الى الراحة ... أجدر بك أن تلزمى الفراش قليلا حتى تستعيدى قواك ...

نيفرت — (منهدة) — صدقت ... بودى أن أستغرق فى نوم لاصحوة منه حتى أنسى أحزانى ... لقد مللت الحياة ...

بنت أنات — لا تيأسى يا حبيبتى نيفرت ... دعى للامل سبيلا الى نفسك ... هيا ... هيا ... قومى الى فراشك — (الى راميرى) — تعال أنت يا راميرى — (تأخذ بأحد ذراعى وردة لمساعدتها على المشى) — خذ بيدها الأخرى ... لقد أصابها الإعياء ... المسكينة ... لم تكد تبل من مرضها فأصيبت بما هو أمر منه ! — (يتقدم راميرى متأثرا فيمسك بأحد ذراعى وردة ، يخرج الجميع من المسرح) .

المشهد الرابع

(بعاكر ، نمو)

نمو — أشكرك يا مولاى اكراما لى وحفاوتك التى لا أعدنى أهلا لها ... لكن اذا كان مولاى يرانى كفؤا لقضاء حاجة فليأمرنى بما يشاء ...

بعاكر — بل أنت أهل لكل ما أغدقت عليك من النعم ... انى منذ وضعتك فى خدمة خالتى راتوتى بناء على رغبة والدتك ونصيحتها لى ... قد أديت ما طلبت منك من خدمات على وجه تستحق عليه الثناء ... فبواسطتك تمكنت من عرض مساعدتى عليها ... وبواسطتك تحاول خالتى اقناع ابنتها بضرورة قبول هذه المساعدة ... على أن نيفرت ما تزال مصرة على عنادها وهذا ما يحرج صدرى ويثير فى نفسى كامن الغيرة ...

نمو — لقد بدأ الشك على كل حال يتسرب الى نفسها من ناحية زوجها ... لا ريب عندى فى أن هذه هى الخطوة الأولى نحو الكراهية ... اذا كانت نيفرت تحجم الى الآن عن أن تنصاع

لك فما ذاك الا لارتباطها برباط الزوجية ... الذى تعتبره مقدسا ... لا حبا بمينا ... لنفرض أن مينا ... ليس موجودا ... لا شك أن نيفرت التى رأت عيوب زوجها وعرفت الآن أخلاقك الذميمة ومزاياك ستعد نفسها سعيدة بأن تضع نفسها بين ذراعيك ...

بعاكر — (منهدا) — أصبت يا تيمو ... لقد ورثت عن أمك الدهاء والحيلة ... لكنى كنت أعتبرك أعظم شأنا لو كانت لك قدرتها فى السحر أو تأويل الرؤى ... فلقد بدت لى نيفرت ليلة أمس فى حلم أفض مضجعى وما زلت بسببه أتوجس خيفة منها ومن صدها الذى مزق قلبى ونغص حياتى ...

تيمو — مولاى ... فى وسعك الاعتماد علىّ فى تفسير أى حلم ... لقد ضربت فى هذا العلم بسهم وافر ... ولى فيه شهرة ... سل عنها جميع أتباعك ...

بعاكر — (يطرق الى الأرض ويرسم عليها عابثا بسوطه خطوطا متعرجة) — لقد رأيت أننى على مقربة من النيل والماء راكد والسماء صافية الأديم . فلمحت نيفرت بالضفة الأخرى تنادينى باسمى فأشرت اليها بأصبعى فهرولت نحوى جريا على وجه الماء كما لو كانت تجرى فى السهل ... فلما تدانت مددت اليها يدى لتمسك بها فما هو إلا مر الطيف حتى غاصت الى قرار الماء واختفت عن الأنظار ... عند ذلك لم أتمالك أن ألقيت بنفسى الى الماء ونزلت فيه هابطا فاذا بى قد أدركتها وأخذتها فى ذراعى ... غير أنى لم ألبث أن شهدت صورتها الجميلة تتلاشى قليلا قليلا كما يتلاشى برد الجبال اذا جعل فى قبضة اليد وتأثر بحرارتها ... ورأيت شعرها

الفاحم وقد انقلب لونه الى أبيض ناصع ناعم كزهر الزنبق وعينيها وقد انبعثت منهما سمكتان اختفتا فى عجاج الماء وشفتيها وقد أصبحتا فرعى مرجان دويا الى قاع النهر وجسمها وقد تشكل بشكل تمساح رأسه كرأس مينا وقد أخذ هذا التمساح يرشقنى بنظرات الازدراء ويبتسم ابتسامة التهكم ... عند ذلك استولى علىّ الغضب فجردت سيفى وانقضضت على ذلك الوحش الخائل الخلقة .. ولقد أحسست أسنانه الحادة تنفذ فى جسمى فمكنت السيف من حلقه فجرى دمى ودمه ممتزجين كالسيل واصطبغ بهما ماء النيل ... وكانت المناجزة شديدة بيننا قمت عقبها من النوم مرعوبا يتصبب جسمى بالعرق وترتعد فرائصى ويكاد يتركنى صوابى ...

نيمو — (وقد لزم الصمت برهة) — حقا يامولاى ان حلمك لمن أغرب الأحلام ... لكن ليس من العسير علىّ تفسيره ... ان رؤياك تفيد مجاهدة نيفرت فى القرب منك ... لكن لاترى الوصول اليها سهلا ... لا بد أن تحبط آمالك وتتحلل كما تتحلل دقائق البرد اذا تأثر بحرارة اليد ان لم تقض قضاءك الأخير على التمساح الحارس للأمنية التى تريد الظفر بها ... ان دون بلوغك أمنيتك قنطرة ضيقة يجب عليك اجتيازها ...

بعاكر — وماذا تعنى بهذه القنطرة... انى لا أفهم هذا المجاز ...

نيمو — اذا شئت فانى مكلمك بصراحة ... على شريطة ألا تثور .

بعاكر — أعدك بذلك .

نيمو — ان التسامح فى رؤياك هو مينا ... فابدأ بحذفه من الوجود ... لتجتاز القنطرة ... وتظفر بمرادك ... تحرز أن تتلاشى نيفرت قبل أن تقضى منها أربا كما تلاشت فى المنام واجهد نفسك بانتشالها هى ووالدتها من العار لأن فى دخولها دارك وقد تلوثتا به سبة لك باقية فى الأعقاب ...

بعاكر — لقد طالما فكرت فى ذلك قبل اليوم ... لقد كتبت على سهام سبعة سأوجهها فى الحرب الى صدره ... ليهلك مينا !...

نيمو — اذن لقد طابق حلمك الحقيقة ... لا تتوان فى تنفيذ أمر اعتزمته فيه الخلاص لك من عذابك وأشجانك ...

بعاكر — (متهددا) — سأعمل بنصحك يا نيمو ... بى رغبة شديدة حقا لأن أخلص من عذابى ... اذهب أنت الآن الى خالتى راتوتى ... قل لها انى غاد اليها أودعها قبل رحيلى ... أريد قبلا أن أرى نيفرت فأتزود من لحظها بنظرة أخيرة تكون مشجعتى على تنفيذ أغراضى ...

نيمو — (منحنيا) — سمعا وطاعة يا مولاى ... سأذهب الى خالتك وأعدها لاستقبالك — (يخرج مهرولا ، تدخل بنت أنات لكنها اذ ترى بعاكر تتراجع قليلا الى الوراء من أثر المباغتة) .

المشهد الخامس

[بعاكر ، بنت أنات]

بنت أنات — (بلهجة جافة) — بعاكر ! ... ماذا جئت تصنع هنا ... الآن ؟ ... هل انتهى الاحتفال ؟ ...

بعاكر — أجل وغدا أرحل الى الشام ... لذا جئت مودّعا...

بنت أنات — من ؟ ...

بعاكر — مولاتى الأميرة ...

بنت أنات — أو ... نيفرت ؟ ...

بعاكر — إذا شاءت مولاتى ، نيفرت أيضا ...

بنت أنات — (بلهجة جافة) — إن نيفرت مريضة .. ليست فى حال تمكنها من مقابلتك .. لقد كنت السبب فيما أصابها .

بعاكر — إنى لآسف يامولاتى أن اتهم بما أصاب نيفرت... لقد أصابنى منها ما هو أشد وأمر ... هناك أيضا القدر المشئوم الذى قضى علىّ ألا أعبد إلّاها ... وألا أعيش بغير هواها ... .

بنت أنات — لقد أحببتها فى طيش لم تقض به الآلهة ... وعذبتها فى قسوة ليس لسوء طالعك يد فيها ...

بعاكر — وماذا بيدى إذا تمرّد عليها قلبى... لقد أخذتها باللين فلم أفلح ... فلجأت إلى الشدة ...

بنت أنات — (بلهجة قاطعة) — فلم تفلح أيضا ! ...

بعاكر — (مجاملا) أجل ...

بنت أتاتا — فماذا فعلت إذن ! — (بعاكر وقد ارتج عليه ، يقف صامتا) — سأقول لك ماذا فعلت ... لقد لجأت إلى السحر ... إلى الرق ... مخالفا بذلك جميع القوانين ... ومعرضا نفسك لعقوبة الموت — (بلهجة واضحة) — ولم تفلح أيضا ... فماذا فعلت بعد ذلك؟ ... لقد تآمرت مع من تظنهم أعوانا لك على تحقيق رغبتك فى قلب عرش مولاك وبث الثورة فى البلاد حقدا عليه لأنك لم تنل مأربا عند من تهوى ... لقد جعلت شهواتك فوق مصلحة بلادك وضحيت بمليكك فى سبيل نزعة دنيئة من نزعات نفسك السيئة ... لكن أولئك الذين تظنهم أعوانا لك سينقلبون يوما عليك لأنهم يهزأون اليوم منك ... لأنهم يسيرون وراء غاية غير التى تسير وراءها ... فقد جعلوك آلة فى أيديهم لتنفيذ تلك الغاية ... غدا ترحل الى الشام وأنت تعد من الخطط ما هو خليق بأن يهلك أمة بأسرها ... تعد عدتك لتنتقم من مولاك ومن زوج حبيبتك ... بعد أن انتقمت من حبيبتك نفسها فأودعت قلبها شكا نغص عليها الحياة وزادها ألم غيرة فوق ألم الفراق ... لقد وقفت أمامها صورة للشرحية تساورها أينما حلت ... أفبعد كل هذا جئت تودعها ؟... أجدر بك أن تلحق بثوارك الذين ملأوا الجو صياحا وضجيجا فعاثوا فى الأرض فسادا وأمعنوا فى العباد ضربا وتقتيلا ... أجدر بك أن تودع آنى مليكك المستقبل وآمينى زعيم الثورة ... قل لهما إن حيلتكم قد فشلت لأننى أيضا ذات حيلة ... لقد حذرت أبى من جميع نكاياتكم ووقفته على كل ما يدور هنا فى الخفاء من الدسائس ... لقد عرفت كل شىء ... وقد كتبت اليه ...

بعاكر — (منحنيا) — ان كتابك ياسيدتى لم يصل الى أبيك... لقد اتخذت جميع الوسائل لمنع بريد مصر من الوصول الى الشام... لقد أحكمت الخطة ياسيدتى ...

بنت أنات — (غاضبة) — اذن ؟ ...

بعاكر — لا شيء ياسيدتى ... عما قريب تكون مصر فى يد ملك جديد أحق بعرشها ... أقل أنانية ... وأقل غطرسة من أبيك ...

بنت أنات — صه إذن ... أيمثل هذه القحة تخاطب مولاتك ...

بعاكر — (منحنيا) — تسمحين لى ياسيدتى ...

بنت أنات — (بغضب مكبوت ، لنفسها) — سيدتى ! — (تشير إلى بعاكر) — بالانصراف ؟ — (بلهجة قاطعة) — أجل ! — (يخرج بعاكر فى غطرسة ظاهرة ، تمشى بنت أنات جيئة وإيابا وقد بدت عليها علائم الحيرة والغضب ... فى هذه الأثناء تسمع من بعيد أصوات مظاهرة حماسية... يقترب الصوت شيئا فشيئا ... تنصت بنت أنات إلى هذه الأصوات ... ذاهلة فى أول الأمر ثم تضطرب بعد ذلك كلما اقتربت الأصوات ... تخرج إلى الشرفة لكى تتبين الحقيقة ثم تعود إلى المسرح) .

المشهد السادس

[بنت أنات وحدها ، ثم راميرى ، ثم حاجب]

أصوات — يعيش بنطاؤر ! ... يعيش بنطاؤور ! .. المجد لرعمسيس ! ...

بنت أنات — يالالآلهة ! ... هذه الأصوات ! ... هذا الهتاف ! ... ماذا أسمع ! ... أتخطئنى أذنى أم يصور لى وهمى غير الحقيقة ! ...

أصوات — يعيش بنطاؤر ! ...

بنت أنات — بنطاؤر ! ...

أصوات — المجد لرعمسيس ! ...

بنت أنات — رعمسيس ! ...

أصوات — المجد لرعمسيس ! ...

بنت أنات — المجد لرعمسيس ! — (بفرح) — أيتها الآلهة ! ... شكرا لك ! ...

أصوات — لك النصر يارعمسيس ! ... يعيش بنطاؤر ...

بنت أنات — (باندفاع فرح عظيم) — أيتها الآلهة ! ... شكرا لك ألف مرة ! ... (فى هذه اللحظة يدخل راميرى مندفعا) .

راميرى — أختى العزيزة ! ...

بنت أنات — أخى راميرى ! ...

راميرى — أتسمعين نداء الشعب زعمسيس ؟ ... أتسمعين نداءه لبنطاؤر ؟ ...

بنت أنات — (متأثرة جدا) — نعم ... نعم ...

راميرى — وافرحتاه ! ... لقد انتصرنا ... لقد استطاع بنطاؤر بلا ريب أن يقلب الثورة على رأس أعدائنا ... يالله الرجل العظيم ! — (مشيرا نحو الثورة) — تعالى يا أختى ... تعالى انظرى الى هذه الجماهير وهى تتدفق نحو القصر كالأمواج ... وهذه الرؤوس التى لا عداد لها المتراصة كالبحر الزاخر ... ما أروع هذا المنظر ! ... ما أشد ما يثير فىّ الحماس ... اسمعى هذا الهتاف ! ... انه لأعظم نشيد للوطنية السامية ... انه ليذكى الحمية فى قلب الجبان ! ... وافرحتاه ! ... يا أختى ! ... وافرحتاه ! ...

بنت أنات — (متأثرة جدا) — نعم ... نعم ...

أصوات — يعيش الملك !...

بنت أنات — (بفرح) — أيها الشعب الكريم !... مازلت مخلصا الولاء لمليكك !... أى زعمسيس !... لك المجد والانتصار !...

(يدخل حاجب) .

الحاجب — رسول من قبل بنطاؤر !...

بنت أنات — ليدخل ! — (يخرج الحاجب ، الى نفسها) — لماذا لم يأت بنطاؤر نفسه ... بودى لو رأيته الآن ! ... آه !... أخى راميرى ! ... أرأيت كيف تتطور الأحوال ... لقد عقد الفرح لسانى ... ليس فى وسعى أن أعبر عن شعورى بالكلام ...

المشهد السابع

[الساعة ، الرسول]

الرسول — (محييا) — المجد لابنة رعمسيس !...

بنت أنات — (محدقة فى الرسول) — من ؟... بربروس ؟..

الرسول — نعم يا مولاتى ... بربروس ... لقد أتيت من قبل بنطاؤر رسول سلام يطلب اليك أن تطمئنى ويزف اليك بشرى التفاف الشعب حول أبيك ... انه يهتف بمجده وحياته ويشيد بمناقبه ومحاياه... لقد وقف بنطاؤر خطيبا فى وسط الجموع الغفيرة بعد أن ساد الهرج بينها زمناطويلا على أثر خطاب الكاهن الأعظم بعد أن ذاع أن الشعب قد انقلب على مليكه وشق عليه عصا الطاعة ... لقد أسكت بنطاؤر الجموع بهيبته ووقاره ثم اجتذبهم اليه بفصاحته وبيانه ففند أقوال آمينى ودحض جميع مفترياته وأوضح جميع أغراضه ومراميه ...

بنت أنات — ماذا قال ؟ ...

الرسول — لقد صاح بهم : " أيها الشعب... عار عليكم أن تنكثوا عهد الولاء لمليككم لا لسبب سوى أنكم قد نفذ منكم الصبر على حال فى البلاد قد ملتموها ... ان هذا منكم عين الاعتراف بوهن العزيمة والعجز عن تحمل الشدائد ... فماذا يقول رعمسيس وهو يقاتل بنفسه فى حومة الوغى يتقدم الصفوف كأنل فرد من أفراد الجيش بل هو أول من يتلقى طعنات الأعداء ... أتسمون

هذا أنانية !... لعمرى أن رعمسيس لأكبر منكم قلبا وأوسع صدرا وأعظم حلما ... لقد صبر أكثر منكم على المضض وقد عانى فى سبيلكم أكثر مما عانيتم لأجله ... لقد غركم اليوم نبأ معجزة قيل ظهر بها من صنع الآلهة !... باطل ما يدعون... إنى كأحد الكهان المطلعين على الأسرار ... أقول لكم إن هذا باطل ولا أومن به ... إذا كان قلب الحمل قد انتقل إلى صدر رونى فأين ذهب إذن قلب ذلك الشيخ ... ولم يعثر عليه فى صدر الحمل ؟... لقد قال أيضا ... أيها الشعب لاتيأس ... دع وراء ظهرك ماافقدت وانظر دائما إلى الأمام ... دماء سفكت فى سبيل الوطن ؟... نكبات حلت بالبلاد سببها الحرب ؟... أسر فقدت عائلها فى سبيل غاية نبيلة ؟... مرحى !... إنا إذن قد بلغنا المنى ... قد قمنا بنصيبنا من الجهاد فما بالنا نحزن ... وما بالنا نروى الأرض بالدموع ... المصائب شديدة على النفس إذا ضعفت واستسلمت للجزع ونظرت إليها من وجهة واحدة هى وجهة حلولها بالأفراد ولكنها تضحى زهيدة كما يضحى الألم عذبا والحزن شيئا يسيرا إذا قيست بالمثل الأعلى الذى تطمح إليه أمة شريفة مثل هذه الأمة ... مولاتى الأميرة ... معذرة فلست أعى كل ما قاله بنطاؤر ... لقد كان غنيا بالآلىء التى ينثرها على سامعيه فألقى الخشوع فى نفوسهم والندم فى قلوبهم والصبر على الماضى والأمل فى المستقبل ... لقد كان نسرا مصريا ضميما أخذ الأمة بأسرها تحت جناحيه وحلق بها فى سماء الفكر الحر والغايات المثلى ... فشخص الناس إليه بعيونهم وأفئدتهم وامتزجوا به روحا وجسما ودما ...

بنت أنات — شكرا لك أيتها الآلهة ... لقد حققت رجائى !...

الرسول — مولاتى ان المجد الذى ناله اليوم بنطاؤر — (يتردد قليلا ، تنظر اليه بنت أنات باهتمام) — لم يكن بغير ثمن ...

بنت أنات — (جزعة) — ماذا تعنى ؟ ...

الرسول — إن النجاح العظيم الذى كان حليفه لم يرق الوالى ولا الكاهن الأعظم ...

بنت أنات — ... أعرف ذلك ...

الرسول — إذن آمل أن تصفح عنى مولاتى إذا صرحت لها بأن وراء هذا النصر تضحية قبلها بنطاؤر بطيب خاطر ونفس غير هيابة ...

بنت أنات — (وقد غلبها صبرها) — اذن أتوسل إليك ... أفصح ...

الرسول — (متألما) — لقد قبض عليه يامولاتى ... غدا يكون فى طريقه الى محاجر رحنو ... أو ... معادن الذهب ...

بنت أنات — (مرتاعة) — محاجر رحنو ! ... معادن الذهب ! ... اذن ! ...

الرسول — (متألما) — لقد صدع الأمر بنفيه يامولاتى ...

بنت أنات — (تصرخ) — آه ! ... الىّ يا راميرى ... انى ...

راميرى — ماذا بك يا أختى ؟ ...

الرسول — معذرة مولاتى ... اصفحى عنى ...

بنت أنات — (الى راميرى) — دوار شديد ... أية بيلة هذه! ... أية انفعالات متناقضة ... سأتبعه الى المنفى! ... (هذه العبارات الأخيرة تقولها بنت أنات بجهد وبهجة منقطعة — تسقط بين يدى راميرى مغشيا عليها) .

راميرى — (صائحا) — أختى! ... أختى! ...

(ختام المنظر الأول)

المنظر الثانى

[يمثل المسرح منفى محاجر راحنو، جبال شاهقة، أودية، صخور]

المشهد الأول

[بنت أنات، بنطاؤر]

بنطاؤر — أجل أيتها الحبيبة السماوية ... هنا فى هذا القفر قد قضيت أربعة أشهر بعيدا عنك! ... ما أطول الزمن بعيدا عن رؤية المحبوب! ... هنا ... بين جبال شاهقة تشق ذراها السحاب وصخور شامخة قدت من قلوب العتاة المستبدين وأخاديد سحيقة لا يدرك قرارها البصر أسرح الطرف فى كل لحظة باحثا عنك فلا

أرى إلا طيفك الجميل ... منذ أربعة أشهر أعيش وحدى فى هذا المنفى لا أرى من مظاهر الحياة سوى الأسرى يسيرون مثنى مثنى فى خطى وئيدة متزنة رهيبة تبعث الملل الى النفس وتثير فيها الشعور بالخيبة ... بالآمال المحطمة والأحلام الضائعة ... يسيرون تحت مراقبة حراس قساة تهوى على جسومهم الأسواط كلما أقعدهم التعب عن المسير فى حر الهجير أو انطلق لسانهم بكلمة هى بث الشكوى أو نفثة الصدر المكروب ...

بنت أنات — (منعطفة به) — حبيبى بنطاؤر !... كم أنت من أجلى !... كم ضحيت فى سبيل حبى !... أربعة أشهر بعيدا عنك . لقد كنت أنا أيضا حزينة مثلك أعد الأيام وأناجى الكواكب وأستنبط الحيلة لكى أصل اليك . لقد طالما سهرت الليل تمسح عيناى الدموع أتمثلك فى يقظتى وأراك فى أحلامى ...

بنطاؤر — (مداعبا شعورها) — قبلة اذن ياشقيقة الروح... يا أرق مخلوق فى العالم — (تستسلم له بنت أنات فيقبلها) — أنت ! ... هنا بنت أنات ! ... أنت فى المنفى ! ... أكاد لا أصدق عينى ... أصوتك ما أسمع ! أكاد لا أصدق أذنى ... منذ أربعة أشهر لا أسمع الا قرقعة الأحجار تهوى من الجبال وتتدحرج تحت تأثير المعاول فيختلط صوتها المخيف بصلصلة القيود المحزنة ودبيب الحشرات وهواجس النفس الكسيرة ...

بنت أنات — أومازلت حزينا الى الآن ؟ أو ماتشعر الآن ببعض السعادة ؟

بنطاؤر — (بانفعال عظيم) — بل السعادة لكاملة ... أيتها الآلهة الهابطة على من سماء تطهر وجمال ، أيتها الروح التى لا أحب سواها لقد نشأت فى هذا المنفى الخيالة وفى هذه الفلوات الصحراوية القاسية قد أقمت عرشا للرحمة وعرشا للغرام . فى هذه الأرض الجدباء القاحلة قد رويت ظمأ نفسى العطشى وفى ظلام كآبتها الحالك قد ألقيت شعاعا من النور ... لكن ... خبرينى ... كيف استطعت الوصول الى هنا كيف تحملت مشاق الطريق الوعرة وأخطارها ؟ ... كيف تجشمت هذا السفر الطويل ؟ ...

بنت أنات — لقد تجشمت كل الصعاب بنفس راضية مطمئنة .. لأن خطواتى كانت موقعة على أنغام حبى الذى كان يشجينى فأنسانى الأخطار والمتاعب وكان قلبى يغمره الأمل فى أن يراك فأنعم قريبا بالسعادة المنشودة ...

بنطاؤر — شكرا لك يامنى القلب ... لأنت مثال الحب والتضحية ... أيتها البطلة الشجاعة ... دعينى أقبل يدك احتراما وإجلالا ... لكن خبرينى ... من أى طريق أتيت ؟ ...

بنت أنات — لقد ركبت النيل بضعة أسابيع حتى وصلت الى بلدة ريت ثم اجتزت الصحراء على جملة مراحل مسيرة كل يوم مرحلة فلما بلغت سواحل البحر الأحمر ظللت أنتظر أسبوعا وصول سفينة فينيقية تقلنى الى بلدة فران ، فلما حضرت الى هذه البلدة صعدت فى الجبال الشاهقة التى تلى سفوحها من الناحية الأخرى الواحات الفسيحة المشيد فيها هيكل هاتور الزمردية ...

بنطاؤر — وهل ذهبت الى الهيكل ؟ ...

بنت أنات — أجل وقد تعمد الكهان هناك أن يكثروا من المراسيم الدينية عندما كاشفتهم برغبتى فى التطهر من الدنس ... لقد عينوا لى يوما لغمس جسمى فى الماء المقدس ، وآخر لتطهيره بماء الغدير الذى يسقى منه النخل وثالثا لتلاوة النصوص المقدسة واطلاق البخور من المجامر ... ولقد قاموا غير ذلك بالكثير من الطقوس... ثم قالوا لى بأن الإلهة هاتور رضيت عنى وصفحت عما ارتكبته من الغلطات ...

بنطاؤر — لقد اخترت أشق الأمرين اللذين فرضهما عليك آمينى للتطهر من الدنس ...

بنت أنات — لقد فضلت هذا الطريق لأنه الوسيلة الوحيدة للوصول اليك ومشاركتك بعض ما تعانيه بسببى من الآلام ... ثم انى أربأ بنفسى أن أعترف بذنبى أمام مجمع الكهان الذين صارحوا أبى العداء ... ولقد سعيت أن يكون نفيك الى محاجر راحنو بدلا من معادن الذهب لقرب هذه المحاجر من هيكل هاتور ... فتم لى هذا المسعى بفضل رئيس التشريفات الذى يخلص لى والذى استطاع أن يحمل ربان السفينة على توجيهها صوب راحنو لا صوب الجنوب حيث معادن الذهب فى الحبشة ... ولقد وفقت أيضا بواسطته الى تعيين بربروس والد وردة حارسا على الأسرى فى هذا المنفى ... فاذا استطعت الهروب الليلة أمكننا غدا أن نولى وجهنا شطر الشام عن طريق سينا ... وأمكننا أن نوافى أبى بكل ما يهمه من الأخبار ...

بنطاؤر — أو يعلم بروس بمهمته ؟ ...

بنت أنات — إنه هو الذى تطوع بها ...

بنطاؤر — يا لجندى الشهم ... لقد حدثنى عما كان منه يوم جاءك رسولا من قبلى تطوعا منه دون أن أكلفه بذلك ... لم يكن يتسنى لى أن أرسله اليك وأنا تحت الرقابة ولم أكن أعرفه ... لقد أكبرت منه هذا الأمر وقدمت له عنه جزيل الشكر ... لكنه لم يحدثنى يوما عن اعتزامك الحضور الى هنا ولا عن نيتك فى الذهاب الى الشام ...

بنت أنات — ربما شاء أن يعدك لمفاجئة ظن أنك تطرب لها ...

بنطاؤر — لقد فقد والده الرجل المسكين ذلك اليوم نفسه ... لا شك أن وردة حزينة من أجل ذلك .

بنت أنات — لقد جنّ الرجل اذ شاهد قلب الكبش الذى انتزعه بيده يكرم ويسجد له الناس كمعجزة من أعمال الآلهة ... لقد أثقل ضميره فلم تتحمله أعصابه ... لقد قص على نبسشت قصة هذا القلب وقد ندم على ما بدر منه ... ولكنه لم يكن يتصور أن هذا العمل كان ليودى بحياة الرجل المسكين ... لقد ماتت زوجته أيضا بعده بأيام على أثر صدمها بوفاة زوجها ... بعد أن مات معظم أولادها ... مسكينة وردة ...

بنطاؤر — لا ريب أن هذه الصدمات المتوالية قد أثرت فى صحتها ...

بنت أنات — أجل لكنها تحسنت كثيرا الآن بفضل عناية نبسشت بها ... لقد جاءت ونيفرت ورامیرى معى فى ركبى ...

بنطاؤر — حقا ؟ ...

بنت أنات — نعم وقد أدخلتها هيكل هاتور الزمردية حيث أقمت لها أيضا رتبة التطهير من الدنس الذى علق بها من اتصالها بأسرة المحنطين ... أنها طاهرة الآن لأن والدها جندى ووالدتها أجنبية ...

بنطاؤر — ونبسشت ؟ ... ما أخباره ؟ ...

بنت أنات — منذ أعلن الى شفاء وردة تماما ... لم أره ... لقد اختفى ! ... وقد أنبئت أخيرا بأمر أدهشنى للغاية ... وهو أن نبسشت قد خلع ثوبه الكهنوتى واندمج فى زمرة المشرحين ...

بنطاؤر — يا للرجل الغريب الأطوار ! ... لقد حقق اذن الأمنية التى يطمح اليها ... لقد فعل ذلك ليتمكن من مواصلة أبحاثه ! — (فى هذه الأثناء يسمع وقع أقدام) .

بنت أنات — (متراجعة) من ؟ ...

بنطاؤر — (متلفتا ، يرى بربروس) — هذا بربروس ... لاخوف علينا ...

المشهد الثانى

[السابقان ، بربروس]

بربروس — (منحنيا) — مولاتى الأميرة ! ...

بنت أنات — هل أعددت كل شىء ؟ ...

بربروس — أجل يامولاتى ... لقد أعددت النبيذ الذى جئتنى به والشراب المخدر الذى كان فى جعبة مولاتى نيفرت ... اذا جاء الليل سأصب منهما لجميع الحراس وأمهد الطريق للفرار ...

بنت أنات — حسنا — (الى بنطاؤر) — وفى الغد ...

بنطاؤر — (وقد فهم مرادها) — أجل ... أجل ...

بنت أنات — الى اللقاء اذن ...

بنطاؤر — الى اللقاء ... يا حبيبتى — (وقد وضعت بنت أنات يدها فى يده تنظر اليه نظرة طويلة تكشف عن الدلال . يضمها اليه بنطاؤر . يتعانقان طويلا) .

بنت أنات — (وقد ابتعدت عنه لكن لا تزال يدها فى يده) — الى الملتقى ليلا — (تخرج بنت أنات ويظل بنطاؤر مشيعا اياها بنظره حتى تختفى — عند ذلك يسمع وقع أقدام كثيرة . يهم بنطاؤر بالاختفاء) .

بربروس — من هنا يا أبى — (يخرجان . عند ذلك يخترق المسرح سرب كبير من الأسرى وقد قيد كل اثنين منهم بقيد واحد ومعهم الحراس حتى اذا جاء دور آخر اثنين منهم يسدل الستار) .

(ستار)

الفصل الرابع

المنظر الأول

داخل هيكل آمون

[الملك رعمسيس ، بنت أنات ، أبناء الملك الثلاثة ، مينا ، نيفرت ، وردة ، كهنة ، أعيان ، قواد ، جنود ، الجميع سجود أمام معبد الإله يرتلون لحنا دينيا يشكرون فيه الإله لإحرازهم النصر فى الحرب ، بعد انتهاء الترتيل تقوم فرقة من بنات الهيكل برقصة دينية] .

المنظر الثانى

[على شاطئ النيل ، الى اليمين قصر الملك رعمسيس ، الى اليسار ظلة كبيرة مضاءة أقيم تحتها عرش الملك وقد وضع العرش على مدرج مرتفع ، على واجهة القصر وعلى الشاطئ لاتزال باقية معالم الزينة] .

المشهد الأول

[الوالى آنى ، بعاكر]

آنى — لا ريب ياعزيزى بعاكر ، لقد ضاع الأمل وهبت الريح على غير مانشتهى ... لقد أحرز رعمسيس النصر فما أجدت

معه الدسائس ولا نفعت الخطط التى دبرناها ... لقد طاشت جميع سهامك التى صوبتها فى الحرب ضد مينا ورعمسيس ... وهاهو قد التف حوله الشعب من جديد بعد أن خذلنا ... وقدم له الكهنة الولاء كما رأيت فى هـذه الحفلة الباهرة التى لم تشهد مثلها العين ... حقا إن الناس عبيد الانتصار ... حتى آمينى الذى كان رأس الثورة والذى جعلت اعتمادى عليه لم يسعه خوفا من بطش رعمسيس الا أن يمتثل ويطيع ... لست أرى مندوحة الآن من أن انفض يدى من الدسائس التى دبرناها ... فان البازى العجوز قد اشتدت أجنحته وقويت شوكته ومخالبه فأعملها فى عنق البازى الشاب ... هذا ماقالته نيخت وهو فيما أرى قول حق ... خير لك أن تقتدى بنا إن كانت لك رغبة فى الحياة ...

بعاكر — (منهدا) — بغير نيفرت ... لارغبة لى فى الحياة !... لقد عرضت نفسى من أجلهـا أكثر من مرة للموت ولم أفز منها بغير الاحتقار والكراهية ... فلأعرضها للموت مرة أخيرة ... لاأريد بعد كل ما حدث أن أطأطئ الرأس لرعمسيس ... أريد أن أنتقم منه ومن ابنته المتكبرة ... أريد أن أنتقم من مينا ... إننى أكرههم جميعا ...

آنى — ألم ينجع إذن دواء نيخت فى استمالة نيفرت اليك ؟ ...

بعاكر — (ساخطا) — لقد كذبت على نيخت ... هذه المرأة اللعينة المنافقة ... كما جاءت تدخل الى عقيدتك أن البازى الشيخ قد قوى على الشاب ... لعمرى إنها لم تقل ذلك الا بعد أن شاهدت بعينها الأمر الواقع ورأت انتصار رعمسيس ... إنهـا لتزن بميزانين وتكيل

بمكيالين ولا تتكلم الا بما ترى فيه مصلحة لنفسها ... رأيت كيف أنها خافت على ولدها نيمو إذ أيقنت فشل مؤامرتنا ... فحاولت إغراءه بعدم الامتثال لى فى كل شىء ... لكنى ما زلت قابضا على عنقه ... ان هذا القزم الداهية فى المكر والحيلة ... لا أريد أن أفرط فيه ...

آنى — افعل اذن ما بدا لك... أنا لا علم لى بشىء ... الوداع —

(يخرج آنى . يبقى بعد كروحده مهتاجا يشيع بنظره آنى حتى يخرج من المسرح ، ثم يقف) — جميعهم خونة ... لقد غدروا بى ... لكنى لن أتقهقر ... لن تثنينى قوة فى الأرض عن تنفيذ خطتى ... لأحرقن القصر بمن فيه — (يسارع إلى الخروج ، لا يكاد يتوارى حتى ترى نبخت ونيمو) .

المشهد الثانى

(نبخت ، نيمو)

نيمو — وماذا فى استطاعتى أن أصنع يا أماه... إن هذا الوحش يسىء معاملتى ... ويعذبنى لمجرد شكه فى أننى لا أرضخ لأوامره ... انى لمضطر أن أجاريه فى أهوائه ... على أننى لست أحمق الى هذا الحد فاترك أمرة ملكية تذهب بقمصها وقميصها وقودا للنار التى يريد أن يشعلها ... لست فى غنى عن رأسى اذا لم يبلغ أمنيته ... فوق ذلك تعلمين يا أماه أن الأميرة شفوقة طيبة... ولا تألو جهدا فى استمالتى اليها ... وقد وعدتنى بهدايا سنية جميلة اذا كشفت لها

عن حقيقة نيات بعاكر ... لهـذا جئت بك الى هنـا اليوم فانك لتعلمين عنه الشيء الكثير ... قد أنبأت الأميرة بمجيئك ... يجب أن تقولى لها كل شيء ... وهى مستعدة لتنفيذ جميع طلباتك ...

نيخت — يعجبنى منك هذا الحرص يا ولدى نيمو ... اعمل لنفسك قبل كل شيء ... واسخر من بعاكر وأمثاله ... أهزأ بالناس قبل أن يهزءوا بك ... ان الأميرة طيبة القلب بلا ريب فمـاذا يضيرك أن تكسب عطفها فتعيش من طريق لا ينالك منها أذى وهى أولى فى نظرى من الطريق التى يحاول بعاكر أن يزج بك فيها والتى تعود عليك بالضرر المحقق ...

نيمو — هل توافين الأميرة اذن بمـا تطلبه منك ؟ ...

نيخت — لا ضرر على فى ذلك ما دامت تحقق أمنيتى ... ان غاية ما أطمع فيـه وأنا على أبواب الأبدية أن تعدنى الأميرة بتحنيط جثتى ... لقد سبق أن وعدنى آنى وبعاكر بذلك نظير أن أشرح لها ما لدى من الأسرار ... لكننى كنت أشك كثيرا فى إخلاصهما ... لأن مثلهما لا يتورع عن الكذب وعدم الوفاء بالوعد ... وقد كان يجب علىّ على أية حال أن أنتظر ريثما يجلى الموقف تمـاما فأرى الغلبة فى أى الصفين ... بعاكر وأعوانه أم رعمسيس ... أحب يا ولدى نيمو أن تتشبه بأمك فهذه هى وسيلة الحياة ... هذه هى وسيلة الاطمئنان ...

نيمو — أسمع وقع أقدام ... هذه مشية بعاكر بلا ريب ... اختبىء هنا يا أماه ... حتى تناديك الأميرة فى الوقت المناسب —

(تختبىء نيخت وراء أحد الكواليس) .

المشهد الثالث

[نيمو ، بعاكر]

بعاكر — ماوراءك يانيمو ... لقد كنت أبحث عنك ...

نيمو — كل خير يامولاى ... لقد طليت من القصر المواضع التى عينتها لى بالقصل والقار ... عما قليل يصعد رعمسيس وجميع أسرته من الخونة الذين غدروا بك إلى القصر ... عند ذلك أشعله بمن فيه فأحقق أمنيتك وأشفى غلتك ... انى يامولاى خادمك المطيع ...

بعاكر — لقد فاقت جرأتك ذكاءك فخذ هذا الكيس فإنه يزيدك قوة واجتراء ...

نيمو — على أنى أخاف إن أصاب نيفرت أى أذى أن تندم فيما بعد على فعلتك ...

بعاكر — أجل ... نيفرت ... صدقت ... لا أريد إلحاق الاذى بنيفرت ... لقد شغلتنى فكرة إنقاذها ... انى رغما عن كراهيتى الشديدة لها أحس أن لاغنى لى عنها ... وأن حبها مازال يتملكنى .

نيمو — عليك إذن قبل أن أشعل القصر بلحظة صغيرة أن تصعد إلى غرفتها فتختطفها بعد أن توهمها أن النار قد اشتعلت فعلا فى القصر وانك سارعت إلى إنقاذها مخاطرا بحياتك ... فاذا

مارأت النار وقد التهمت القصر دفعة واحدة بعد نجاتها مباشرة ... سيتحقق لها اخلاصك طالما لا تعرف الفاعل ... ولا تلبث يامولاى أن ترتمى بين أحضانك ... لقد جهزت لاختطافها كل شيء ... وأعددت لك شراعا للفرار ...

بعاكر — حسنا فعلت يانيمو ... خذ أيضا هذا الكيس ... أرى النقود قد شحذت قريحتك ...

نيمو — إنى أحرص دائما على راحة مولاى ...

بعاكر — تعال إذن نستوضح الطريق التى نسلكها بعد اختطاف نيفرت ... آه !... لو تحقق لى هذا الحلم ! — (يخرجان).

المشهد الرابع

[بنت أنات ، نيفرت]

(تدخلان متباطئتين ثم تقفان على الشاطئ)

بنت أنات — هل تحقق لك الآن ياعزيزتى نيفرت صدق قولى ... إن مينا لا يخون أبدا عهد الوفاء لك ... إنه يحبك حبا عميقا مقدسا ... لقد كان لا يفتر عن التفكير فيك ... لقد أمنّ أبى نفسه على ما قلته لك وقد أساءه للغاية ما نقله اليك بعاكر من الأخبار المكذوبة قصد الوشاية والإيقاع بينك وبينه ... لقد رأيت بعينك كيف ثار عليه أبى وكاد يحكم عليه

بالإعدام عملا بقوانين البلاد لما ارتكبه من خيانات وجرائم لولا احترام أبى لوالدته وعطفه عليها وتوسلها ... فاكتفى بعزله من وظيفته ...

نيفرت — لقد فهمت الآن كل شيء ... حمدا لله أن اطمأن قلبي من ناحية مينا ... لقد كنت أربأ فى الحقيقة بشهامته وإخلاصه اللذين تعودتهما منه وما رأيته من تفانيه فى محبتى عاما كاملا أن يقوده عامل من الترق الى ارتكاب خطأ فيه جرح لعزتى أو خدش لإحساسى ... لا يسعنى أيضا إلا أن أشكر الملك لما أبداه من عطف زائد علينا فأصلح ما أفسدته والدتى بسوء تصرفها فى أموال زوجى ... آه ... هو ذا مينا ! ... تعال ...

المشهد الخامس

[السابقتان ، مينا]

مينا — (مرحى) — ها أنذا يا حبيبتى نيفرت ... خرجتما للنزهة فيما أرى ... هذه السماء الصافية ... هذا البدر اللامع ... هذه الأمواج اللجينية الخفيفة يداعبها نسيم رقيق ... إن كل ذلك ليغرى الإنسان حقيقة أن يتعلق بالحياة ... إنه ليشعر النفس بالسعادة والجمال ... إنه يثير فيها عاطفة الحب ... أليس كذلك ياحبيبتى نيفرت ؟ ...

نيفرت — (بعتاب لا يخلو من الدلال) — إنك لتتكلم بجرأة اليوم أمام الأميرة ! ...

بنت أنات — (ضاحكة) — لقد أصبح رجل الحرب شاعرا .

مينا — (ضاحكا) — كما أصبح الشاعر من رجال الحرب ... لقد كان لدخول بنطاؤر ميدان القتال الفضل الأكبر فى انتصار جيوشنا ... إن الخطط التى دبرها بعاكر والخيانات المتوالية التى كان يفاجئنا بها كادت تفت فى عضد الجيش على مر أربعة شهور فلما جاء بنطاؤر وتقلد القيادة العامة للجيش سرعان ما تغيرت الأحوال ... لقد كان مجيئه الينا نعمة نزلت علينا من السماء ... لقد كان ذلك فى ساعة دب فيها اليأس فى قلوب الجنود وبسط رعمسيس يديه الى السماء مبتهلا الى آمون أن يعززه بالنصر وما أتم الدعاء حتى برز من بين الجمع شاب طويل القامة تبدو عليه مخايل النبل والذكاء فأمسك بأعنة الخيل وحيّ الملك أحسن تحية فارتعد عجبا ودهشة وخيل اليه أنه إله الحرب أو هو القائد آسا بعث من قبره — (تبدو على بنت أنات نشوة الحب لدى سماعها هذا الإطراء) .

بنت أنات — لقد أبدعت يامينا ... إن هذا الوصف الجميل الذى خلعته على بنطاؤر لا يقل تأثيرا فى النفس العاشقة عن هذا المنظر الطبيعى الرائع الذى اهتزت له قلوبنا ...

مينا — ترين يا معبودتى نيفرت ... إن للأميرة قلبا مثل قلبنا قد خفق للحب هو أيضا ... إنها لتعطف علينا بلامراء ... ربما اليوم ... أكثر من ذى قبل ...

بنت أنات — (متنهدة) — هذا حق يا مينا ... من عرف قلبه الحب فقد عذر المحبين ...

مينا — ليت بنطاؤر كان معنا الآن ... إذن لاكتملت سعادتنا ... إن رعمسيس ما فتئ منذ عاد الجيش من الحرب يستشيره فى جميع ما يهم الدولة من الأمور ... لقد تركته الآن يتشاور معه فى الشروط التى يمليها على ملك الدنائم ...

بنت أنات — وهل يبدى هذا الملك صعوبة فى قبول الشروط المعروضة عليه ؟ ...

مينا — الحقيقة يا مولاتى إنه لملك شديد المراس ... يلتهب وطنية وغيرة على بلاده ... لكن رعمسيس يسايره بحنكة سياسية ومهارة فائقة كما أنه يعامله بالحسنى كى لايشعره بمضض الأسر... إنه لجدير بأن يعامل بهذه المعاملة ... ولقد رأيت منه إذ وقعت فى أسر جنوده، عند ما تقهقر جيشنا فى بعض المواقع ما دلنى على نبله وأكبر شأنه فى عينى ... لقد أكرم مثواى ... وأحسن وفادتى كما لو كنت أحد أبنائه ... حتى أنقذنى رعمسيس ... فلما دارت الدائرة عليه ووقعت براكسيلا أسيرة فى أيدى المصريين ، اخترت أن تكون الفتاة حصتى من الغنائم خوفا من أن يعبث بها الجنود أو يسيئوا اليها فآويتها عندى وجئت بها الى هنا على أن أردها الى أبيها نقية الذيل بعد التوقيع على شروط الصلح فأكون بذلك قد وفيت دينى ...

نيفرت — إن صنيعك هذا قد دل على روحك السامية ... ليت الذين وشوا بك عندى أنبئونى بهذه الحقيقة التى أطرب لها الآن ... معذرة مينا وصفحا اذ أسأت بك الظن ... لقد كنت فريسة للنميمة. إن مجرد افتكارى الآن بأننى شككت فى اخلاصك لحظة يعيد الى نفسى ذكرى الآلام الماضية ...

مينا — حبيبتى نيفرت ... لا تحزنى من أجل ذلك ... إنك لم تأت جرما تطلبين عنه الصفح ... اذا كنت بدافع الغيرة قد شككت فىّ فهذه الغيرة نفسها دليل حبك لى ... وهذا غاية ما أطلبه منك — (فى هذه الأثناء يدخل راميرى ووردة ! يبدو على وردة الاضطراب ، راميرى يطمئنها) .

المشهد السادس

[السابقون ، راميرى ، وردة]

راميرى — أمن أجل ذلك تحزنين ياوردة؟ ...لقد وقع منى الخاتم... نعم... لكننى واثق من أنه لم يضع ... سوف أعثر عليه بلاريب... لقد أرسلت رجالا يبحثون عنه فى جميع الطرقات التى اجتزناها مذ عدنا من المعبد ... إنه لم يتعد هذه الطرقات أو هذا السرادق...

وردة — لا أملك على كل حال أن أحزن لفقدان هذا الخاتم... إنى مدينة لكم بالكثير ... مدينة لكم بحياتى ... إنما يعز علىّ أنه كان تذكارا من والدتى ... وكنت أحرص على الوصول الى حل الرموز المنقوشة عليه ...

راميرى — بل أنا يا حبيبتى الذى أحرص على ذلك ... لسوف أصل بلا ريب الى تحقيق بغيتى ... إن يدا لم تمتد بالسرقة الى الخاتم...سوف أعثر عليه ...إننى واثق من ذلك — (فى هذه الأثناء يسمع وقع أقدام كثيرة) — من النادم ... آه ! هذا أبى ... يصحبه ملك الدنائم... وابنته ... هذا بنطاؤر أيضا ... ومترجم الملك ... آه ! — (لنفسه) — ليت الخاتم كان معى الآن ...

المشهد السابع

[السابقون ، رعمسيس ، ملك الدنائم وابنه ، بنطاؤر ، مترجم الملك ، ثم نيو ونيجت] .

رعمسيس — (إلى ملك الدنائم) — أنا لا أقبل المفاوضة فى شروط الصلح إلا مع خصوم يسجدون لتاج الوجهين القبلى والبحرى — (فى هذه الخطة يكون الأربعة قد بلغوا الظلة ... يصعد رعمسيس إلى العرش بينما الآخرون وقوفا ، رعمسيس يستمر فى حديثه) — فاذا أقمت على إصرارك ولم تعدل عن عنادك فلن يكون لك نصيب ما من فوائد الصلح الذى سأبرمه مع حلفائكم ...

ملك الدنائم — لقد جئت إلى هنا للمفاوضة للصلح لكننى لاأبذل كرامتى ثمنا لها ... إن جبهتى هذه لن تمس الثرى لإنسان أو لتاج ... على أن لى عندك رجاء أيها الملك الشريف فهل أنت محققه لى — (بإيماءة مبهمة من رعمسيس) — إن مينا حارس ركابك هذا الشاب الكريم قد بالغ فى الحفاوة بابنتى براكسيلافأكرم مثواها فى أسرها ... أفتأذن لنا بعبور النيل ... فنؤدى ماعلينا من الدين له فى صيوانه ... ونتال شرف عبور هذا النهر المقدس ... آه ... لكن هاهو ذا مينا ... قدحسبناه غادر القصر — (فى هذه الأثناء يرى نيو فادما بسرعة حتى إذا دنا من بنت أناتفيل الأرض بين يديها) .

نيمو — (إلى بنت أنات) — مولاتى ! ... مولاتى ! ... معذرة لجرأتى إذ جئت فى هذا الوقت ... لقد عثرت بباب القصر على هذا الخاتم ... فلما اطلعت والدتى عليه أكدت لى بأنه لوردة ... لأنها رأته معها مرة إذ كانت تزورها فى كوخ جدها — (تأخذ بنت أنات الخاتم من مينا وتفحصه) .

راميرى — أرنى يا أختى... إنى أعرف خاتم وردة — (يأخذ الخاتم من يد بنت أنات فيفحصه باشتياق وفرح) — نعم ... نعم ... إنه هو بعينه ... انظرى ياوردة — (يريها الخاتم) — ألم أقل لك إننى سأعثر عليه (يقترب راميرى من المترجم بحركة سريعة) — اليك إذن أيها المترجم... فسر لنا هذه الرموز الغريبة...إنك لتتقن العديد من اللغات...عسى أن تكون هـذه اللغة إحداها — (يتناول الخاتم وبينما هو يفحصه تقترب بنت أنات وتنظر رمينا منه للاستطلاع) .

المترجم — ليس هذا إلا نصف فص ... هذه الكتابة يونانية، أرى عليه أحد جناحى نسر ملكى ... لقد كتبت تحته عبارة ناقصة (قارئا) — إن نصف هـذا الفص ليس حلية ولكن — (يتوقف المترجم ... ينظر اليه ملك الدنائم بدهشة واشتياق) .

ملك الدنائم — ولكن ماذا ؟ ...

المترجم — للأسف ! إن بقيـة الكلام كانت منقوشة على النصف الضائع من هذا الفص ...

ملك الدنائم — هل يسمح لى بالاطلاع عليه ؟ — (يتناول الخاتم من يد المترجم) — براكسيلا ! ... أرنى يابنيتى نصف الفص الذى فى خاتمك — (تخلع براكسيلا خاتمها من أصبعها فتناوله الى الملك ... يأخذ الملك الخاتمين و يضم أحد فصيهما الى الآخر ... يطيل النظر اليهما) — أيتها الآلهة ! — أيتها الآلهة ! — (ينظر اليه الجميع بدهشة) — ابنتى ! ... نعم ! ... ابنتى ! — (صائحا) — كرانت ! ... كرانت ! ... هل هبطت ثانية من السماء لتبحثى عنى وتقتربى منى — (يفتح ذراعيه الى وردة) — تعالى الى يابنيتى ... تعالى — (تقف وردة مبهوتة برهة قصيرة تتنازعها عاطفتان ، الحنان والخوف ، ثم تندفع الى ذراعى الملك كالمذهولة ... لا تلبث أن تنفجر بالبكاء ، الملك اغرورقت عيناه بالدموع ، رعمسيس ينظر الى هذا المشهد بتأثير واعجاب) — قبلينى ! — (تقبل وردة بين أحضان الملك لحظة طويلة ، يرفع الملك عينيه الى السماء) — شكرا لك أيتها الآلهة ! ... أن عرفت لى حفيدة فى هذا الوجود ! — (الى المترجم) — أيها المترجم ... اليك الفص كاملا فاقرأ ماعليه من نقوش ...

المترجم — (قارئا) — ان نصف هذا الفص ليس حلية ولكن اذا ضم الى نصفه الثانى توافرت فيه مسرات الآلهة ... لقد اكتمل الآن رسم النسر بضم أحد النصفين الى الآخر — (الى رعمسيس) — انها لمصادفة غريبة حقا — (فى هذه الأثناء يكون ملك الدنائم قد تخلى عن وردة التى تقترب من براكسيلا فى اضطراب وتعانقها دون أن تقول كلمة من شدة التأثر ثم تقف مبهوتة فى مكانها تمسح دموعها) .

رعمسيس — لقد كان قلبي يحدثني في الحقيقة بأن هذه الغادة من أصل كريم ...

راميرى — نعم ... نعم يا أبى ... ان وردة من أسرة ملكية راسخة ... لذا آمل يا أبى أن تحقق أمنيتى التى أتطلع اليها ...

رعمسيس — نعم يا ولدى ، إذا أقر جدها الملك زواجكما فانى موافق عليه مقدما ... انه لأجدر بنا الآن أن تلتحم بلادنا وبلادها بلحمة النسب وآصرة القرابة ...

ملك الدنائم — أيها الملك العظيم ... لاتجعلنى الآن فى عداد الملوك ... ولا تحسبنى من الأبطال ... بل والدا حنونا ... وأبا رحيما ! ... يلتمس منك الصفح و يطلب الصلح و يستأذنك فى أخذ حفيدته الى بلاده ...

رعمسيس — لكنى لست مبلغك أيها الملك الشريف ألا نصف هذه الأمانى ... لا أشهى الى نفسى بصفتى صاحب هذه الديار من إبرام الصلح معك على وجه ثابت جلى ... إما بصفتى رب أسرة فلا أرى فى حفيدتك الا ماتراه ابنتى بنت أنات وما يراه ولدى راميرى وهو اقترانه بها ...

بنت أنات — لست أرى فى شأن وردة الا مايتطلع اليه أخى — (الى وردة) — عزيزتى وردة ... هل ترضين راميرى أخى زوجا لك؟ — (وردة تحنى رأسها علامة الرضى) .

ملك الدنائم — (الى راميرى) — لقد عرفتك أيها الأمير شجاعا فقد اخترقت صفوف جيشى حتى صرت وإياى وجها لوجه ... لئن

كنت متهورا فى بسالتك واقدامك فان هذا العيب الطفيف يصلحه الزمان وحده — (الى رعمسيس) — أما أنت أيها المولى الكريم فسأرفع اليك مكنون صدرى فلا تخفى من أمرى خافية عليك ... لست أعارض فى اقتران الأمير بحفيدتى بل أرجو أن يكون من وراء هذا القران دوام الصفاء وزوال الأحقاد غير أنى أستميحك الاذن بأخذها الى بلادى عاما واحدا تتعلم فيها لغة أمها .. ولا يذهب عنكم أن وردة من سلالة ملكية ... وهى هنا لا دار تأوى اليها ... لقد عثر عليها ولدكم فى مهاوى الفاقة والشقاء — (تطرق وردة الى الأرض خجلا) — أرى أن يتم الزواج فى بلادنا اذ فى وقوعه هنا مايشعر بأن حفيدتى ليست من أصل عريق ...

رعمسيس — لقد قلت حقا أيها الملك العظيم نفذ حفيدتك مع احتفاظى بها خطيبة لولدى — (الى وردة) — وأنت أيتها الابنة المحبوبة ... ان الأجل المضروب لزواجك سيعلمك الصبر و يجعل راميرى كفؤا لك لما يكسبه فى هذه المدة من التجربة — (الى راميرى) — أما أنت يابنى العزيز فاعلم أنه بعد عام ستقلك سفينة فينيقية الى بلاد خطيبتك حيث تحتفل بزفافكما ...

راميرى — (وقد جثا على ركبتيه أمام رعمسيس وقبل يده) — شكرا لك يا أبى من أعماق نفسى ...

رعمسيس — انهض يابنى باركتك الآلهة — (أثناء ذلك يقترب نيو الذى شهد ما تم فى هذا الموقف عن بعد من بنت أنات ويكلمها بصوت خافت) .

نيمو — (الى بنت أنات) — مولاتى ... لقد جاءت والدتى ... انها على استعداد تام للإفضاء بكل شىء ...

رعمسيس — (الى بنت أنات) — ماذا يا ابنتى ... هل من أخبار جديدة سارة ؟

بنت أنات — هذه الساحرة تيخت يا أبى ... والدة هذا العبد التى حدّثتك عنها فأمرت بإحضارها ...

رعمسيس — لتحضر اذن — (يخرج نيمو مسرعا ، تتبادل بنت أنات وبنطاؤر النظر ، الى بنطاؤر) — وأنت يابنطاؤر ، أيها البطل العزيز ، بماذا أ كافئك ... أراك صامتا لاتتكلم ...

بنطاؤر — (فى صوته نغمة من الحزن يحاول إخفاءها) — ماذا عساى أقول يامولاى... ان مظاهر الهناء الذى عمنا الليلة لأ كثر ما تدعونى الى التأمل فى رعاية الآلهة لهذه الأسرة الملكية المباركة ... لقد رفعت الى ذروة المجد هذه الفتاة الطاهرة — (مشيرا الى وردة) — وأعادت الى قلب نيفرت الهناء بعد أن تجرعت صبورا راضية آلام الفراق — (فى هذه اللحظة يكون نيمو قد عاد مع تيخت التى تقف بعيدا بينما يقترب نيمو من بنت أنات فيسر اليها شيئا تجيب عليه بنت أنات بإيماءة ، بنطاؤر يستمر فى حديثه) ان كان لى أن أطمع فى شىء الآن فهو رضاؤكم عنى يامولاى — من كان مثلى لاتتسمى أسرته إلى الملوك لايجوز له أن يطمع فى أكثر من ذلك ...

رعمسيس — ماذا تعنى يابنطاؤر ... انى لأحس فى نبرات صوتك نغمة من الحزن لم أعهدها قبل اليوم ...

بنت انات — أبى ... إن سر حزن بنطاؤر فى قلب هـذه المرأة — (تشير الى بجت) — مرها بأن تتكلم تر أن بنطاؤر جدير بأن يحل من أسرتنا محل بعا كر — (تبدو على رعمسيس علائم الدهشة) .

رعمسيس — لست أفهم ... ماذا تعنين بذلك يا ابنتى...

بنت أنات — إن بعا كر الخائن لم يكن قط ابن آسا ...

رعمسيس — إنه ليدهشنى حقا هـذا الأمر ... لكننى ألمح وجوه الشبه متوافرة بين بنطاؤر والموهار السابق ...

بنت أنات — نعم يا أبى ...

رعمسيس — لكن ما الدليل على ذلك ؟ ...

نيخت — (ولم تتحرك من مكانها ، بصوت عميق) — ان يسمح لى مولاى بالكلام فإنى مقدمة له هذا الدليل ...

رعمسيس — (آمرا) — أيتها المرأة تقدمى... أذيعى علينا ما يحتويه صدرك من سر يتعلق ببنطاؤر أو بعا كر... ولكن اذا اتضح لنا أن فيما تقولين ذرة واحدة من الكذب ألقينا بك الى الهلاك وأنزلنا بك العقاب المخصص لأمثالك من السحرة والمشعوذين ...

نيخت — لست أخشى هذا العقاب فلن أقول غير الحقيقة ... لكنى لا ألفظ كلمة واحدة مما هو كامن فى صدرى ما لم تعدنى بالأمان وتقسم بالآلهة أن تدعنى وشأنى وأن تصفح عما ارتكبت من ذنوب وآثام ...

رعمسيس — لقد وعدناك بذلك أيتها المرأة وسوف نأمر بتحنيط جثتك اذا وافتك المنون ...

نيخت — أعرنى أذنيك اذن يامولاى... هل سمعت فى شبابك أن غادة تدعى بيكى فتنت بجمالها الشبان وخلبت مسامعهم بصوتها الرخيم ؟ ... اذا كنت لم ترها ولم تسمع عنها فانظر أمامك جيدا تجدها بين يديك — (تضحك منهقهة ثم تستجمع بيدها أطراف ثيابها الرثة) — ان الرجل يتناول قطف العنب فيمتص عصير حياته ثم يطرحها على الأرض ويدوسها بقدميه ... ما أشبهنى اليوم بحبة أهينت وديست بالأقدام بعد أن امتص كل لذيذ فيها — (الجميع ينظرون اليها بدهشة) — لا تنظر الىّ يامولاى بعين الدهشة ... لقد كنت فيما غبر من أهل الطبقة العالية فى الأمة ... كان ذلك منذ أربعين عاما ... وكانت الشبيبة تتهافت على سماع صوتى وتتنافس فى التقرب الىّ... لقد كان أحد أولئك الشبان آسا الموهار السابق... والد بنطاؤر ...

رعمسيس — أواثقة أنت أيتها المرأة من أن آسا هو والد بنطاؤر ؟ ...

نيخت — وثوقى من أن سيتى هو والد رعمسيس ...

رعمسيس — فماذا بعد ذلك ؟ ...

نيخت — لقد كان ذلك الشاب يجمع الى جماله الرائع شرف الأصل وكرم الأخلاق ... لقد أحببته كثيرا وتفانيت فى عشقه . لكنه كان خائنا لم يرع عهدى فما مضى زمان على ذلك الحب حتى

انقلب على وافترن بفتاة جميلة من بيت عظيم ... إذ ذاك دبت فى قلبى عقارب الغيرة وكنت أذوب غيظا وأموت كمدا وحسرة ... لقد حاولت بعد ذاك أن أقابله عشرين مرة ... فكان يصدف عن طريق ويلتمس الفرار منى ... كان يتحرى فى سلوكه دائما اجتناب اللوم من قرينته ... لكن الظالم جوزى على بغيه بتساقط اللعنات عليه والتصاقها بذريته من بعده — (يلتفت الملك الى بطاؤر متحدثا اليه همسا ويبدو كأنه يكفه عن الساحرة إذ يشير بيده اليها . يبدى بطاؤر اهتماما بحديث الملك) — على أثر ذلك أصابنى يا مولاى مرض شديد حار فى علاجه الأطباء ... ولما شفيت شعرت بصوتى الرخيم وقد ذهبت محاسن نغماته ... وكنت مع ذلك فى عيش رغد فصرفت ما أملكه على سحرة طيبة... لقد لازمتهم حتى تلقيت عنهم أسرار السحر ... ولقد حذقت مهنتى الممقوتة ومارست معها مائة مهنة أخرى ...

رعمسيس — أية هذه المهن مارست أكثر من الأخرى ...

نيخت — مارستها جميعا بمهارة واحدة ... لكن ربما كانت الولادة أكثرها عندى رواجا ...

رعمسيس — استمرى اذن ... لكن بايجاز ...

نيخت — لقد أوجزت ما استطعت يامولاى ... ولكن قصتى طويلة ...

رعمسيس — تكلمى ...

نيخت — ذات مساء يامولاى قدم الىّ مباشر البستان الذى كنت أبتاع منه ما أحتاج إليه من الحشائش ... كان معه غلام وليد أصابع احدى يديه ستة بدلا من خمسة ... لقد سانى ذلك اليوم أن أصلح ما أفسد منه الدهر ... فاخذت الغلام وفى ضحى اليوم التالى سمعت صدى ضوضاء وهرج فى الوادى ... فما هى الا برهة حتى أقبل فوج من الخدم يسألونى المبادرة بانقاذ مولاتهم... لقد كان أخذها الطلق وهى فى زيارة قبور الاجداد... فأخفيت الغلام السداسى الاصابع طىّ ثيابى وعجلت بالانصراف مع الخدم ... فاذا بى أمام قبر أبى آسا ... وعلمت أن المرأة قرينته وكانت قد وضعت الجنين قبل وصولى اليها بدقائق ... لكنى رأيت فى حالتها ما ينذر بالخطر فانفذت الخدم فى الحال الى بيت سيتى لاستدعاء بعض الاطباء — (يلتفت الملك الى بنطاور و يكلمه همسا) — فلما ألفيت نفسى وحيدة غسلت جسم الطفل وأخذت أقبله بشغف كأنه ولدى — (تصمت نيخت هنيهة) .

رعمسيس — وماذا بعد ذلك ؟ ... تكلمى أيتها المرأة — (الى الموجودين) — إن فى هذه القصة ما يدعو حقيقة الى الدهشة ...

نيخت — بعد ذلك سمعت وقع أقدام على أحجار الوادى فمرّت بخاطرى ذكرى ساعة النزع التى رأيت فيها الموت بعينىّ وكنت أنتظر أن يقبلنى آسا القبلة الأخيرة لكنه أرسل الى بدلا منها نقودا كنت فى غنى عنها . عند ذلك لا أخفى عنك يا مولاى لقد امتلأ صدرى حقدا وميلا الى الانتقام ولا أدرى كيف استطعت أن أعطى خادمتى المولود فأمرتها أن تذهب به فورا الى المغارة ... و وضعت فى حجرى ولد البستانى الذى كنت أحمله فى طيات ثيابى ...

رعمسيس — (غاضبا) — أيتها الشيطانة اللعينة هل ارتكبت هذه الجريمة ؟ ...

نيخت — لقد ارتكبت هذه الجريمة يا مولاى ... وأنا أعترف بها الآن لأنى أوشكت أن أموت وأرانى بحاجة أن يرتاح ضميرى وأخلص من أعباء ذنوبى ...

رعمسيس — (بنفس اللهجة السابقة) — لكن كيف اجترأت على ارتكابها ...

نيخت — لقد كانت تسيرنى قوة خفية لا أدرى مبعثها ... لقد خيل لى اذ ذاك أن قلبى سكنته الجن والشياطين ...

رعمسيس — (بنفس اللهجة) — أو لم يعرف البستانى ولده ؟...

نيخت — كان الطفل وليدا ... وقد أبقيته عندى أياما ... لم يعرف البستانى شيئا...لقد عميت بذر الرماد فى عينيه...فخدشت أصبع الطفل وضمدته ... هكذا شب ابن الموظار فى أسرة البستانى الوضيع ... كما تربى ابن هذا الرجل فى أسرة آسا الشريف ... وبعد يا مولاى — (مشيرة الى بنطاور) — انظر اليه ... ألا ترى قرائن الشبه متوافرة بينه وبين آسا ... و بمقدارها ترى أسباب التباين بين بعثاكر ذى الستة الأصابع وأبيه الشريف المزعوم — (تصمت نيخت) .

رعمسيس — أهذا كل ما لديك من الأسرار ؟ ...

نيخت — ان ما لدى من الأسرار كثير يا مولاى ... منه ما يتعلق بالوالى ومنه ما يتعلق برجال الكهنوت ، ان صدرى ليحوى جميع أسرار العظماء الذين يأتون لاستشارتى فى شأن مستقبلهم ... لكننى بحت الآن بما أمرنى به مولاى ...

رعمسيس — حسنا... انصرف الآن... سوف أستدعيك فى فرصة أخرى ... ان الصنيع الذى قمت به أيتها الماكرة اللعينة لما تستحقين عليه عقاب الموت ... لكننى قد وعدتك بالعفو وسوف انجز وعدى — (تخرج الساحرة ، يلتفت الملك إلى بنطاؤر هامسا) — عزيزى بنطاؤر ... هنيئا لك ما حزت الآن من فخار بالانتماء الى ذلك الوالد الشريف ... اذا صدقت فراستى فانى أتبين الآن سر حزنك ... مر بما تشاء فلن أخيب لك رجاء ...

بنطاؤر — أشكر مولاى على عطفه السامى ... مولاى ... قد تطلعت عيناى منذ أكثر من عام الى جمال كريمتكم الرائع ... وقد رأيت فى خصالها الجميلة وبصيرتها المتوقدة وعلمها الغزير ما حبب الىّ أن اتشرف بطلب يدها منكم ... لقد كنت أخشى ألا يروق هذا الطلب فى نظركم اذ كنت أحسبنى حتى هذه اللحظة ابن ذلك البستانى مما لا يليق أن ينتمى الى أسرة الملوك ... لكننى الآن وقد هنأتمونى بهذا الفخر العظيم وعددتمونى عضوا فى أسرتكم الشريفة أجرؤ على أن أطلب رسميا أمام هذا الجمع الكريم يد ابنتكم الطاهرة...

رعمسيس — أن زواج ابنتى موكول الى رغبتها ... لقد عودتها منذ الصغر أن تستقل فى شؤونها ... إن هذا الأمر يتعلق بقلبها واحساسها — (الى بنت أنات) — هل تحبين يا ابنتى العزيزة أن تكونى

قرينـة لبنطاؤر — (تحنى بنت أنات رأسها إشارة القبول و ينزل رعمسيس عن العرش و يأخذ بيد كل من بنت أنات و بنطاؤر) — اذن ليضع كل منكما يده فى يد الآخر ولتبارك فيكما الآلهة — (فى هذه اللحظة يتقدم نيمو من بنت أنات) .

نيمـو — اذا راق لمولاتى الآن فقد بلغت أمر مولاتى باعداد شراع ملكى لعبور النيل — (تلتفت بنت أنات الى أيها كمن يريد أن يقول شيئا) .

رعمسيس — (إلى بنت أنات وقد سمع ما قاله نيمو) — إنى لأحبذ هذه النزهة يابنيتى ... إن هـذه الليلة المقمرة البديعة جديرة حقا بما توافر لنا من المسرات — (إلى ملك الدنائم) — إن الملك العظيم قد أعرب عن رغبته غير مرة فى عبور نهرنا المقدس ...

ملك الدنائم — أرى الفرصـة سانحة لبلوغ هـذه الأمنية الشريفة ...

رعمسيس — حسنا ... هلموا بنـا — (يهم الجميع بالمسير تجاه الشاطئ . أثناء ذلك تظهر على المسرح فى المكان الذى يمثل النهر مركب شراعية عليها معالم الزينة . ينزل فيها الجميع . يتقدمهم الملكان يليهما بنت أنات و بنطاؤر ، فراميرى ووردة ، فينفرت ومينا — يقف نيمو بعيدا يشيع المركب بنظره حتى تختفى... يتقدم نحو الشاطئ و ينظر برهة طويلة ليتأكد أن المركب قد سارت بعيدا . أثناء ذلك يدخل بعاكر — ينتبه إليه نيمو فيسارع إليه) .

المشهد الثامن

[نيمو ، بعاكر]

نيمو — مولاى ! ...

بعاكر — هل من جديد ؟ ...

نيمو — لاشىء سوى أن القصر عامر الآن بجميع أفراد الأسرة الممقوتة... الوقت مناسب للغاية يا مولاى... الساعة متأخرة الآن... لا ريب أن الجميع نيام ... اصعد الى نيفرت ... اختطفها ... ريثما أعد لك سبيل الفرار ...

بعاكر — (بعزيمة من يقدم على ارتكاب جريمة) — أجل ! ... أجل ! ... سوف أختطفها ! ... أريد أن تكون لى نيفرت ! ... أريد أن تكون لى وحدى ... مت يارعمسيس ! ... احترق ! ... ما النار التى أشعلها فى القصر الا قبسا من النار التى تلتهم صدرى ...

نيمو — هلم يامولاى ... نفذ خطتك ! ... الفرصة سانحة ... والوقت يمضى ... ادخل من هـذا الباب وسوف أنتظرك عنـد الباب المقابل ...

بعاكر — أمعك ثقاب ؟ ...

نيمو — نعم يا مولاى ... فى جيبى الكثير منه ...

بعاكر — كل شىء اذن على ما يرام ... هيا ... انتظرنى —

(يسرع الى دخول القصر) .

المشهد التاسع

[نيرو وحده]

أيتها الذبابة السامة ! ... أيها الوحش الدميم الخلقة ! ... لقد طالما عذبتنى !... طالما حاولت الانتقام منك !... ها قد وقعت فى الفخ أيها البطل ... حان الوقت لأنقذ نفسى منك ! ... وأنقذ ملكا وأمة بأسرها ! — (يتقدم نحو القصر . يخرج من جيبه القناب ويشعل النار ثم يهرب . يسمع صراخ بعاكر الى ! ... الى ! ... النار ! ... ثم يغيب الصوت شيئا فشيئا ... يرى القصر مشتعلا وقد ملأ الدخان جو المسرح ثم ينهار بدوى شديد) .

(ستار)

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
فى يوم ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٥٢
(١٢ أبريل سنة ١٩٣٤) بما
مدير المطبعة الأميرية
أحمد أمين الهجت

الهيئة العامة ... ٩٠٠-١٩٣٣-٢٥٠٠